

التفسير المحرر 18-10118-1.0

قد فاز وظفر بخير الدنيا والآخرة المؤمنون الذين آمنوا بكل ما وجب عليهم الإيمان به.

الذين من صفاتهم أنهم في صلاتهم خاضعون، مُتَذَلِّلُونَ لله ساكنون، مُتَذَبِّرونَ لما يقولون فيها.

ومن صفاتهم أنهم معرضون عن الباطل وجميع ما يكرهه الله؛ كالمعاصي وما لا فائدة ولا خير فيه.

ومن صفاتهم أنهم لزكاة أموالهم مؤثون.

ومن صفاتهم أنهم صائنون لفروجهم من الحرام، فلا يَقَعُونَ فيما نهاهم الله عنه من الفواحش.

هُمْ يَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ إِلَّا مِنْ زَوَاجَتِهِمْ أَوْ مِنْ إِمَائِهِمُ اللَّاتِي يَمْلِكُونَهُنَّ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُلَامُونَ عَلَى وَطْئِهِنَّ عَلَى الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ.

فَمَنْ التَّمَسَّ التَّمَتُّعَ بِفَرْجِهِ فِيمَا سِوَى زَوْجَتِهِ وَأَمْتِهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ، الْمُتَعَدُّونَ حُدُودَ اللَّهِ، الْمُجَاوِزُونَ مَا أَحَلَّهُ لَهُمْ إِلَى مَا حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ.

ومن صفاتهم أنهم لما اتتمتهم الله والناس عليه، ولِعُهُودِهِمْ مع الله وعباده مُراعونَ، قَائِمُونَ بِحِفْظِهَا، وَالْوَفَاءِ بِهَا، فَلَا يَخُونُونَ الْأَمَانَاتِ، وَلَا يَنْقُضُونَ الْعُهُودَ.

ومن صفاتهم أنهم مُواظِبُونَ عَلَى أَدَاءِ صَلَوَاتِهِمْ فِي أَوْقَاتِهَا، بِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا وَوَاجِبَاتِهَا.

أُولَئِكَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُوصَفُونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ هُمُ الْوَارِثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَازِلَ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الْجَنَّةِ.

أُولَئِكَ الْمُؤْمِنُونَ يَرِثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَّاتِ الْفِرْدَوْسِ، هُمْ فِي تِلْكَ الْجَنَّاتِ مَآكِثُونَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبَدًا.

ولقد خلق الله تعالى آدَمَ عليه السَّلامُ مِن طِينٍ أَخَذَ مِنْ جَمِيعِ
الأَرْضِ.

ثُمَّ جَعَلْنَا ابْنَ آدَمَ نُطْفَةً مُسْتَقَرَّةً مَحْفُوظَةً فِي رَحِمِ الْمَرَأَةِ.
ثُمَّ صَيَّرْنَا النُّطْفَةَ قِطْعَةً دَمٍ تَغْلُقُ فِي الرَّحِمِ، فَجَعَلْنَا قِطْعَةَ الدَّمِ
قِطْعَةً لَحْمٍ صَغِيرَةً، لَا شَكْلَ فِيهَا وَلَا تَخْطِيطَ، فَجَعَلْنَا قِطْعَةَ اللَّحْمِ
عِظَامًا مُخْتَلِفَةً، شَكَّلْنَاهَا ذَاتَ رَأْسٍ وَيَدَيْنِ وَرِجْلَيْنِ، فَالْبَسْنَا تِلْكَ
العِظَامَ لَحْمًا، ثُمَّ نَفَخْنَا فِيهِ الرُّوحَ، فَتَحَوَّلَ إِنْسَانًا حَيًّا، وَبَشَرًا
سَوِيًّا، فَتَعَاطَمَ وَكَثُرَ خَيْرُ اللَّهِ أَنْقَنَ الصَّانِعِينَ، الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ
خَلْقَهُ!

ثُمَّ إِنَّكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- بَعْدَ أَنْ خَلَقْنَاكُمْ وَأَحْيَيْنَاكُمْ سَتَمُوتُونَ،
فَتَعُودُونَ ثَرَابًا كَمَا كُنْتُمْ.

ثُمَّ إِنَّكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- سَتُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الثَّرَابِ؛
لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- سَبْعَ سَمَوَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ
بَعْضٍ، وَأَحَاطَ عَلَمُنَا بِكُلِّ مَخْلُوقٍ، فَلَا نَخْلُقُ مَخْلُوقًا وَنَغْفُلُ عَنْهُ
أَوْ نَنْسَاهُ، بَلْ نَحْفَظُهُ وَنَدَبِّرُ أَمْرَهُ، وَنَقُومُ بِمَصَالِحِهِ.

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِحَسَبِ حَاجَةِ الْخَلْقِ وَمَا يَكْفِيهِمْ، عَلَى
الْمِقْدَارِ الَّذِي يُصْلِحُ وَلَا يُفْسِدُ، فَجَعَلْنَاهُ مَحْفُوظًا فِي الْأَرْضِ،
وَأَنَّا عَلَى إِذْهَابِ الْمَاءِ الَّذِي أَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ لِقَادِرُونَ، وَلَوْ
وَقَعَ ذَلِكَ لِهَلاكِ النَّاسِ وَهَلَكْتَ أَرْضِيهِمْ وَزُرُوعُهُمْ وَمَاشِيَتُهُمْ.

فَأَوْجَدْنَا لَكُمْ بِسَبَبِ الْمَاءِ بَسَاتِينَ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ، لَكُمْ -أَيُّهَا
النَّاسُ- فِي الْبَسَاتِينَ فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ سِوَى النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ، وَلَكُمْ
مِنَ الْبَسَاتِينَ غِذَاءٌ تَأْكُلُونَهُ.

وَأَنْشَأْنَا لَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- شَجَرَةَ الزَّيْتُونِ الَّتِي تَنْبُتُ فِي جَبَلٍ سَيْنَاءَ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، تُخْرِجُ شَجَرَةُ الزَّيْتُونِ ثَمَرًا يُعَصَّرُ مِنْهُ زَيْتٌ يُدْهَنُ بِهِ، وَيَجْعَلُهُ الْآكِلُونَ إِدَامًا يَغْمَسُونَ فِيهِ خُبْزَهُمْ.

وَأَنَّ لَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- فِي الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ مَا تَعْتَبِرُونَ بِهِ، فَتَعْرِفُونَ أَيْدِيَ اللَّهِ عِنْدَكُمْ، وَسَابِغَ رَحْمَتِهِ، وَانْفِرَادَهُ بِالْخَلْقِ، وَسَعَةَ عِلْمِهِ، وَعَظِيمَ قُدْرَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَتَشْكُرُونَهُ وَلَا تَكْفُرُونَهُ، نُسْقِيكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- لَبَنًا مِمَّا فِي بُطُونِهَا، وَلَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ، وَمِنْ لَحُومِ الْأَنْعَامِ وَشُحُومِهَا تَأْكُلُونَ بَعْدَ ذَبْحِهَا. وَعَلَى الْإِبِلِ فِي الْبَرِّ، وَعَلَى السُّفُنِ فِي الْبَحْرِ تَرْكَبُونَ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَتَحْمِلُكُمْ وَتَحْمِلُ مَتَاعَكُمْ.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ لَهُمْ نُوحٌ: يَا قَوْمِ، اعْبُدُوا اللَّهَ وَخُذْهُ، وَذِلُّوا بِطَاعَتِهِ مُخْلِصِينَ لَهُ، مَا لَكُمْ مِنْ مَعْبُودٍ غَيْرِهِ يَسْتَحِقُّ أَنْ تَعْبُدُوهُ، أَفَلَا تَخْشَوْنَ اللَّهَ، وَتَخَافُونَ عِقَابَهُ أَنْ تَحِلَّ بِكُمْ بِسَبَبِ عِبَادَتِكُمْ غَيْرَهُ، وَإِشْرَاكُمْ بِهِ؟!

فَقَالَ الْكَافَرُ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ مِنَ الْأَشْرَافِ وَالسَّادَةِ: مَا نُوحٌ إِلَّا إِنْسَانٌ مِثْلَكُمْ، وَلَيْسَ رَسُولًا كَمَا يَزْعُمُ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنْكُمْ، فَادَّعَى النَّبُوَّةَ لِنَتَّبِعُوهُ! وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَلَّا نَعْبُدَ شَيْئًا سِوَاهُ، لَأَنْزَلَ عَلَيْنَا مَلَائِكَةً رَسُولًا يُبَلِّغُونَنَا أَلَّا نَعْبُدَ غَيْرَهُ، مَا سَمِعْنَا فِي أَسْلَافِنَا مِنَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ بِمِثْلِ هَذَا الَّذِي يَدْعُونَا إِلَيْهِ نُوحٌ، مِنْ أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ لَنَا غَيْرُ اللَّهِ!

مَا نُوحٌ إِلَّا رَجُلٌ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْجُنُونِ؛ دَفَعَهُ لِإِدْعَاءِ الرِّسَالَةِ، فَلَا يَدْرِي مَا يَقُولُ، وَهُوَ لَيْسَ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كَمَا يَزْعُمُ!

فانتظروا بَنُوحَ وَقْتًا مَا حَتَّى يُفِيقَ مِنْ جُنُونِهِ فَيَتْرُكَ دَعْوَاهُ هَذِهِ،
أَوْ يَمُوتَ؛ فَتَسْتَرْيَحُوا مِنْهُ.

قال نُوحٌ: رَبِّ، انصُرْنِي عَلَى قَوْمِي، فَأَهْلِكْهُمْ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ
بِرِسَالَتِي.

فَقُلْنَا لَنُوحٍ: اصْنَعْ السَّفِينَةَ بِمِرْأَى مَنَّا، وَفِي حِفْظِنَا، وَبِتَعْلِيمِنَا
إِيَّاكَ كَيْفِيَّةً صُنْعِهَا، فَإِذَا أَتَى وَقْتُ إِهْلَاكِنا لِقَوْمِكَ -يا نُوحُ-
بِالطُّوفَانِ، وَنَبَعَ الْمَاءُ بِشِدَّةٍ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي يُخْبِرُ فِيهِ؛ فَادْخُلْ
فِي السَّفِينَةِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الْمَخْلُوقَاتِ ذَكَرًا وَأُنْثَى،
وَادْخُلْ فِي السَّفِينَةِ أَهْلَ بَيْتِكَ، إِلَّا مَنْ سَبَقَ حُكْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِإِهْلَاكِهِ؛
لِكُفْرِهِ، وَلَا تَسْأَلْنِي -يا نُوحُ- أَنْ أَنْجِيَ الْكَافِرِينَ؛ فَإِنِّي قَدْ حَكَمْتُ
بِإِغْرَاقِهِمْ جَمِيعًا.

فَإِذَا اسْتَقَرَّرْتَ -يا نُوحُ- أَنْتَ وَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ مَعَكَ عَلَى
السَّفِينَةِ، وَعَلَوْثُمْ فَوْقَهَا رَاكِبِينَ، فَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَصَنَا مِنَ
الْقَوْمِ الْمُشْرِكِينَ.

وَقُلْ -يا نُوحُ-: رَبِّ أَنْزِلْنِي بِإِزَالَةِ مُبَارَكًا، وَأَنْتَ -يا رَبَّنَا-
خَيْرُ مَنْ تُنْزِلُ عِبَادَكَ.

إِنَّ فِي إِهْلَاكِنا قَوْمِ نُوحِ الْكَافِرِينَ وَإِنْجَانِنا الْمُؤْمِنِينَ: أَدَلَالَاتٍ
وَاضِحَاتٍ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَصِدْقِ أَنْبِيَائِهِ،
وَقُدْرَتِهِ عَلَى نَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِهْلَاكِ أَعْدَائِهِ، وَقَدْ كُنَّا مُخْتَبِرِينَ
بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَالتَّذْكِيرِ بِآيَاتِنَا قَبْلَ نُزُولِ عُقُوبَتِنَا؛ لِنَنْظُرَ كَيْفَ
يَعْمَلُونَ.

ثُمَّ أَوْجَدْنَا مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ قَوْمًا آخَرِينَ.

فَأَرْسَلْنَا فِي أُولَئِكَ الْقَوْمِ رَسُولًا مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَاطِيعُوهُ؛ مَا لَكُمْ مِنْ مَعْبُودٍ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ غَيْرُهُ، أَفَلَا تَخَافُونَ عِقَابَ اللَّهِ عَلَى شِرْكِكُمْ؛ فَتَجَنَّبُوا عِبَادَةَ هَذِهِ الْأَصْنَامِ؟! وَقَالَ الرُّؤَسَاءُ وَالْأَشْرَافُ وَالسَّادَةُ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّسُولِ، الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، وَنَعَمْنَا بِهِمْ وَوَسَّعْنَا عَلَيْهِمُ الرِّزْقَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَتَّى بَطَرُوا وَطَغَوْا: مَا هَذَا الرَّسُولُ إِلَّا إِنْسَانٌ مِثْلَكُمْ، يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنَ الطَّعَامِ، وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ مِنَ الشَّرَابِ، وَلَيْسَ رَسُولًا كَمَا يَزْعُمُ! وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ إِنْسَانًا مِثْلَكُمْ، فَصَدَقْتُمْ أَنَّهُ رَسُولٌ وَاتَّبَعْتُمُوهُ، إِنَّكُمْ إِذَنْ لَمَغْبُونُونَ.

أَيُعَذِّبُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَصِرْتُمْ ثُرَابًا وَعِظَامًا فِي قُبُورِكُمْ أَنْتُمْ سَخَّرَ جُودَ مِنْهَا أَحْيَاءٌ، كَمَا كُنْتُمْ قَبْلَ مَمَاتِكُمْ؟! بَعِيدٌ بَعِيدٌ جِدًّا مَا يَعَذِّبُكُمْ بِهِ مِنَ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا!

لَيْسَ هُنَاكَ حَيَاةٌ أُخْرَى سِوَى حَيَاتِنَا الدُّنْيَا، يَمُوتُ فِيهَا الْأَحْيَاءُ مِمَّا فَلَا يَحْيَوْنَ ثَانِيَةً، وَيُولَدُ آخَرُونَ فَيَحْيَوْنَ فِيهَا! وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ أَحْيَاءً بَعْدَ الْمَوْتِ.

مَا هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولٌ سِوَى رَجُلٍ يَخْتَلِقُ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا بِأَنَّهُ أَرْسَلَهُ بِالتَّوْحِيدِ، وَأَنَّهُ يَبْعَثُ عِبَادَهُ أَحْيَاءً بَعْدَ الْمَوْتِ! وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُضْذِقِينَ فِيمَا يَقُولُهُ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ! قَالَ الرَّسُولُ: رَبِّ انصُرْنِي عَلَى قَوْمِي، فَأَهْلِكْهُمْ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ بِرِسَالَتِي.

قَالَ اللَّهُ لِلرَّسُولِ: سَنُعَذِّبُهُمْ قَرِيبًا، فَيُصْبِحُونَ نَادِمِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ.

فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ بِصَيْحَةٍ أَخَذْتَهُمْ، وَهُمْ يَسْتَحِقُّونَ هَذَا الْعِقَابَ؛
لِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ، فَلَمْ يَظْلِمَهُمُ اللَّهُ، وَلَكِنْ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ، فَجَعَلْنَاهُمْ هُلْكَى هَامِدِينَ، حَتَّى صَارُوا كَعُتْنَاءِ السَّيْلِ
الَّذِي لَا مَنَفْعَةَ فِيهِ، فَبُعْدًا مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ لِلْقَوْمِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ بِرَبِّهِمْ، وَمَعْصِيَةِ رَسُولِهِ.

ثُمَّ أَوْجَدْنَا مِنْ بَعْدِ أُولَئِكَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ أَقْوَامًا آخَرِينَ.
مَا تَسْبِقُ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ الْوَقْتَ الَّذِي قَدَرَهُ اللَّهُ
لِإِهْلَاكِهَا، وَمَا تَتَأَخَّرُ عَنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ الْمَكْتُوبِ فِي اللَّوْحِ
الْمَحْفُوظِ.

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا مُتَوَاتِرِينَ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَاحِدًا بَعْدَ
وَاحِدٍ؛ إِلَى أُمَمٍ أُخْرَى بَعْدَ أُولَئِكَ الْقَوْمِ الْمُهْلَكِينَ، كُلَّمَا جَاءَ
رَسُولٌ إِلَى أُمَّةٍ مِنْ تِلْكَ الْأُمَمِ كَذَّبُوهُ، فَلَمْ يَقْبَلُوا مَا جَاءَ بِهِ مِنْ
الْحَقِّ، فَأَهْلَكْنَا تِلْكَ الْأُمَمَ بِعَذَابِ الْإِسْتِصَالِ؛ بَعْضُهُمْ فِي إِثْرِ
بَعْضٍ، وَصَيَّرْنَاهُمْ أَخْبَارًا لِلنَّاسِ يَتَحَدَّثُونَ بِهَا عَنْهُمْ، فَبُعْدًا مِنَ
رَحْمَةِ اللَّهِ وَهَلَاكًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ، وَيُكَذِّبُونَ رَسُولَهُ.
ثُمَّ أَرْسَلْنَا بَعْدَ أُولَئِكَ الرُّسُلِ مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِمُعْجَزَاتِنَا
وَحُجَّةٍ بَيِّنَةٍ وَاضِحَةٍ.

إِلَى فِرْعَوْنَ وَأَشْرَافِ قَوْمِهِ، فَاسْتَكْبَرُوا عَنِ الْإِيمَانِ وَاتَّبَاعِ
الْحَقِّ الَّذِي جَاءَهُمْ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ، وَكَانُوا قَوْمًا قَاهِرِينَ لِبَنِي
إِسْرَائِيلَ ظَالِمِينَ لَهُمْ، خُلِقُوا وَسَجِّيتُهُمُ الْكِبْرُ.

فَقَالَ فِرْعَوْنُ وَمَلُؤُهُ: أَنْصَبْ مُوسَى وَهَارُونَ وَنُقِرْ لَهُمَا،
وَهُمَا بَشَرَانِ مِثْلُنَا، وَقَوْمُهُمَا لَنَا مُطِيعُونَ ذَلِيلُونَ خَاضِعُونَ؟!
فَكَيْفَ نَنْبِئُهُمَا؟!!

فَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ وَمَلَأُوهُ مُوسَى وَهَارُونَ، فَأَغْرَقَهُمُ اللَّهُ، فَكَانُوا
مِمَّنْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ؛ لِيَكْذِيبَهُمْ رُسُلُ اللَّهِ.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى التَّوْرَةَ؛ كَي يَهْتَدِيَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِاتِّبَاعِهَا.
وَجَعَلْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ مَرْيَمَ حُجَّةً عَجَبِيَّةً وَاضِحَةً
لِلنَّاسِ، تَذَلُّهُمْ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِ مَا يَشَاءُ؛ حَيْثُ خَلَقَ عِيسَى
مِنْ أُمِّ بَلَاءِ! وَصَيَّرْنَا عِيسَى وَأُمَّهُ مَرْيَمَ إِلَى مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ مِنَ
الْأَرْضِ، مُسْتَوٍ مُسْتَقَرٍّ، وَفِيهِ نَهْرٌ جَارٍ ظَاهِرٌ لِلْعِيَانِ.

يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ، كُلُّوْا مِنَ الرِّزْقِ الْحَلَالِ الْمُسْتَدِّ النَّافِعِ،
وَاعْمَلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، إِنِّي لَا يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ
أَعْمَالِكُمْ، وَسَأُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا جَمِيعًا؛ فَاجْتَهِدُوا فِي صَالِحِ
الْأَعْمَالِ.

وَإِنَّ دِينَكُمْ جَمِيعًا - أَيُّهَا الرُّسُلُ - دِينٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، وَأَنَا
رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِي بِفِعْلٍ أَوْ أَمْرٍ، وَاجْتَنَابِ نَوَاهِيٍّ، وَلَا تُشْرِكُوا بِي
شَيْئًا.

فَتَفَرَّقَ النَّاسُ مِنْ أَمَمِ الرُّسُلِ فِي هَذَا الدِّينِ الْوَاحِدِ الَّذِي شَرَعَهُ
اللَّهُ لَهُمْ؛ وَجَعَلُوهُ كُتُبًا وَضَعُوهَا، دَانَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ بِكِتَابٍ غَيْرِ
كُتُبِ الْفِرَقِ الْأُخْرَى، وَجَعَلَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ دِينًا، كُلُّ
فَرِيقٍ مِنْهُمْ مَسْرُورُونَ بِمَا اخْتَارُوهُ لَأَنْفُسِهِمْ، فَرَحُونَ بِبَاطِلِهِمْ،
يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ دُونَ مَنْ سِوَاهُمْ.

فَانْزَلْنَا - يَا مُحَمَّدُ - هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي دِينِهِمْ،
الَّذِينَ هُمْ بِمَنْزِلَةٍ مَنْ تَقَدَّمَ؛ ائْتَرَكُهُمْ فِي حَيْرَتِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ
وَعَفَلَتِهِمْ الَّتِي غَرَقُوا فِيهَا، إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ أَوْ الْمَوْتُ.
أَيُّظُنُّ أُولَئِكَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ أَنْ مَا نَبَسَطُهُ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا
مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَبْنَاءِ.

أَيُظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ تَعَجِيلٌ لِّثَوَابِهِمْ؛ لِمَعَزَّتِهِمْ وَكَرَامَتِهِمْ
عِنْدَنَا؟! كَلَّا! لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُونَ، بَلْ هُمْ يُسَارِعُونَ فِي
أَسْبَابِ الشُّرُورِ، وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ أَنِّي أُعْطِيهِمْ ذَلِكَ فِتْنَةً
وَاسْتِدْرَاجًا لَهُمْ.

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ -لِخَشْيَتِهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ- حَذَرُونَ خَائِفُونَ مِنْ عِقَابِهِ،
يُداوِمُونَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَطَلَبِ مَرْضَاتِهِ.
وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهَا مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ
وَالْحُجَجِ يُؤْمِنُونَ.

وَالَّذِينَ يُخْلِصُونَ لِرَبِّهِمْ فِي عِبَادَاتِهِمْ كُلِّهَا؛ فَلَا يُشْرِكُونَ بِهِ
شَيْئًا.

وَالَّذِينَ يُعْطُونَ مَا أُعْطُوا مِنْ زَكَّاتٍ وَصَدَقَاتٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ،
وَالْحَالُ أَنَّ قُلُوبَهُمْ خَائِفَةٌ مِنْ رُجُوعِهِمْ إِلَى رَبِّهِمْ، وَبَعَثَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، فَيَخَافُونَ إِلَّا يَتَّقِلَ مِنْهُمْ.
أُولَئِكَ يُبَادِرُونَ وَيُسَابِقُونَ فِي عَمَلِ الطَّاعَاتِ؛ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى، وَنَيْلَ الدَّرَجَاتِ، وَهُمْ إِلَى الْخَيْرَاتِ سَابِقُونَ.

وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا مَا تُطِيقُ حَمْلَهُ وَالْقِيَامَ بِهِ، مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ
وَالْعَمَلِ بِشَرْعِهِ، وَعِنْدَنَا كِتَابٌ كَتَبَتْ الْمَلَائِكَةُ فِيهِ جَمِيعَ أَعْمَالِ
الْعِبَادِ؛ فَهُوَ يُبَيِّنُ بِالصِّدْقِ الثَّابِتِ الْمُطَابِقِ لِلْوَاقِعِ مَا عَمِلُوهُ فِي
الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَتُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ، وَلَا نَظْلِمُهُمْ بِعُقُوبَتِهِمْ
بِمَا لَمْ يَعْمَلُوا، أَوْ بِالزِّيَادَةِ فِي سَيِّئَاتِهِمْ، أَوْ بِالنَّقْصِ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ.
بَلْ قُلُوبُ الْمُشْرِكِينَ فِي عَمَايَةٍ وَغَفْلَةٍ عَنِ الْقُرْآنِ؛ فَهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَلَا يَتَذَكَّرُونَ، وَلِلْمُشْرِكِينَ أَعْمَالٌ سَيِّئَةٌ رَدِيئَةٌ دُونَ
أَعْمَالِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ، يُمَهِّلُهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
حَتَّى يَعْمَلُوهَا قَبْلَ مَوْتِهِمْ؛ فَيَحْقِّقَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ.

فَإِذَا عَذَّبَ اللَّهُ عُظْمَاءَ الْمُشْرِكِينَ الْمُنْعَمِينَ، أَخَذُوا يَصْرُخُونَ
وَيَسْتَغِيثُونَ مِنْ شِدَّةِ عَذَابِهِمْ، طَالِبِينَ الْخَلَاصَ مِمَّا أَصَابَهُمْ.

لَا تَصْجُبُوا وَتَسْتَغِيثُوا - أَيُّهَا الْكَافِرُونَ -؛ فَلَا شَيْءَ يُخْلِصُكُمْ
مِنْ عَذَابِي، وَلَا يَنْفَعُكُمْ صُرَاخُكُمْ.

قَدْ كَانَتْ آيَاتُ الْقُرْآنِ تُقْرَأُ عَلَيْكُمْ؛ لِتُؤْمِنُوا بِهَا قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ
بِكُمْ الْعَذَابُ، فَكُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهَا، وَتَرْجِعُونَ مُعْرِضِينَ عَنْهَا.

وَالْحَالُ أَنَّكُمْ مُسْتَكْبِرُونَ بِسَبَبِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، تَقُولُونَ: لَا
يُظْهَرُ عَلَيْنَا أَحَدٌ؛ لِأَنَّا أَهْلُ الْحَرَمِ، حَالُكُمْ مَتَحَدِّثِينَ لَيْلًا،
تَهْذُونَ فِي شَأْنِ الْقُرْآنِ، وَتَقُولُونَ فِيهِ مَا لَا مَعْنَى لَهُ مِنَ الْقَوْلِ؛
مِنَ الْبَاطِلِ الَّذِي لَا يَضُرُّهُ.

أَفَلَمْ يَتَذَكَّرْ أُولَئِكَ الْمُشْرِكُونَ الْقُرْآنَ؛ فَيَعْقِلُوا مَعَانِيَهُ، وَيَعْلَمُوا
مَا فِيهِ، وَيَعْمَلُوا بِهِ وَيَتَّبِعُوهُ، أَمْ جَاءَهُمْ فِيهِ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ، فَانْكُرُوهُ وَأَعْرَضُوا عَنْهُ؟!

أَمْ لَمْ يَعْرِفِ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَهُمْ مُحَمَّدًا، وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ
الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، فَيُنْكِرُوا قَوْلَهُ؟!

أَمْ يَحْتَجُّونَ فِي تَرْكِ الْإِيمَانِ بِدَعْوَى أَنَّ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُنُودًا؟! لَيْسَ سَبَبُ رَفْضِهِمُ الْإِيمَانَ وَتَوْحِيدَ الرَّحْمَنِ
شَيْئًا مِمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، بَلِ السَّبَبُ الَّذِي دَعَاهُمْ لِلنَّمْسُكِ بِشْرِكِهِمْ
وَكُفْرِهِمْ هُوَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ، وَأَكْثَرُهُمْ يَكْرَهُونَ
الْقَبُولَ وَالْإِذْعَانَ لِهَذَا الْحَقِّ الْمُخَالِفِ لَأَهْوَائِهِمْ!

وَلَوْ جَاءَ الْحَقُّ بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمُ الْفَاسِدَةَ الْمُخْتَلِفَةَ، لَفَسَدَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَاخْتَلَّتْ نِظَامُ
الْعَالَمِ، بَلْ أَتَيْنَا أُولَئِكَ الْمُشْرِكِينَ بِالْقُرْآنِ الْمُبِينِ لِلْحَقِّ، وَفِيهِ

شَرَّفُهُمْ وَعِزَّهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ؛ فَهُمْ عَنِ الْقُرْآنِ -الَّذِي فِيهِ شَرَّفُهُمْ وَعِزَّهُمْ- مُعْرِضُونَ لَا يَتَّبِعُونَهُ!

أَمْ تَسْأَلُ -يَا مُحَمَّدٌ- مُشْرِكِي قَوْمِكَ أَجْرًا عَلَى مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، فَيَمْنَعُهُمْ ذَلِكَ مِنْ اتِّبَاعِهِ؟! كَلَّا! لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ؛ فَتَوَابُ اللَّهِ الَّذِي يُعْطِيكَ عَلَى تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ ذَلِكَ؛ فَمَا الَّذِي يَمْنَعُهُمْ -إِذَنْ- مِنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ؟! وَاللَّهُ خَيْرٌ مَن يُعْطِي عِبَادَهُ وَيَرْزُقُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ.

وَإِنَّكَ -يَا مُحَمَّدٌ- لَتَدْعُو مُشْرِكِي قَوْمِكَ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ لَا اعْوَجَاجَ فِيهِ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ.

وَإِنَّ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْحِسَابِ لَمُنْحَرِفُونَ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمِ، الْمَوْصِلِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى جَنَّتِهِ، فَصَائِرُونَ إِلَى النَّارِ.

وَلَوْ رَحِمْنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، وَرَفَعْنَا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا مِنْ قَحْطٍ وَجَدْبٍ وَفَقْرٍ؛ لَتَمَادَوْا وَاسْتَمَرُّوا فِي كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمُ الَّذِي تَجَاوَزُوا فِيهِ الْحَدَّ، وَهُمْ يَتَرَدَّدُونَ حَيَارَى لَا يُمَيِّزُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ.

وَلَقَدْ أَصَبْنَاَهُمْ بِعَذَابِ الدُّنْيَا -كَإِصَابَتِهِمْ بِالْجُوعِ وَغَيْرِهِ- فَمَا خَضَعُوا لِرَبِّهِمْ بِالْانْقِيَادِ لِأَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَمَا دَعَا بِهِ خُشُوعٌ وَتَذَلُّلٌ وَاقْتِنَارٌ؛ لِيَرْفَعَ عَنْهُمْ الْبَلَاءُ الَّذِي أَصَابَهُمْ!

حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ عَذَابًا شَدِيدًا، إِذَا هُمْ فِي ذَلِكَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ نَادِمُونَ عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُمْ مِنْ كُفْرٍ وَتَكْذِيبٍ بِالْحَقِّ، آيِسُونَ مِنْ حُصُولِ الْخَيْرِ وَالْفَرَجِ وَالنَّجَاةِ!

وَاللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي أَوْجَدَ لَكُمْ السَّمْعَ الَّذِي تَسْمَعُونَ بِهِ، وَالْأَبْصَارَ الَّتِي تُبْصِرُونَ بِهَا، وَالْقُلُوبَ الَّتِي تَعْقِلُونَ بِهَا،

فَتَتَفَعَّلُونَ بِهَا فِي مَصَالِحِ دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا تَشْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا شُكْرًا قَلِيلًا عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ.

وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَبَنَىكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - بِالنَّاسِلِ فِي سَائِرِ جِهَاتِ الْأَرْضِ، عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِكُمْ وَصِفَاتِكُمْ وَلُغَاتِكُمْ، وَإِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ تُجْمَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُحْيِيكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ لِيَحَاسِبَكُمْ وَيُجَازِيَكُمْ بِمَا عَمِلْتُمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

وَاللَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي يُحْيِي خَلْقَهُ بِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِمْ، وَهُوَ يُمَيِّتُهُمْ بَعْدَ أَنْ أَحْيَاهُمْ، وَلِلَّهِ وَحْدَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَهُوَ الَّذِي جَعَلَهُمَا يَتَنَاقَبَانِ وَيَتَعَاقَبَانِ بِقُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ، فَيَذْهَبُ بِاللَّيْلِ، وَيَأْتِي بِالنَّهَارِ، ثُمَّ يَذْهَبُ بِالنَّهَارِ، وَيَأْتِي بِاللَّيْلِ، أَفَلَيْسَتْ لَكُمْ عُقُولٌ تُدْرِكُونَ بِهَا أَنَّ الَّذِي فَعَلَ هَذِهِ الْأَفْعَالُ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى بَعْثِكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ؟! هُمْ لَا يَعْقِلُونَ تِلْكَ الْأَدِلَّةَ وَالْحُجَجَ، وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا، وَلَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ بِإِنْكَارِ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، كَمَا قَالَ أَسْلَافُهُمُ الْمُكَذِّبُونَ بِهِ!

قَالُوا: إِذَا مِتْنَا وَصِرْنَا تَرَابًا وَعِظَامًا فِي قُبُورِنَا، أَنَا لِمُعَادُونَ بَعْدَ ذَلِكَ أَحْيَاءُ؟! ذَلِكَ أَمْرٌ لَا يُعْقَلُ، وَلَا يَكُونُ أَبَدًا!

لَقَدْ سَبَقَ أَنْ وُعدَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُنَا بِالْبَعْثِ، كَمَا وُعدْنَا نَحْنُ بِهِ، وَلَمْ نَرَ لَهُ حَقِيقَةً، مَا هَذَا الْبَعْثُ الَّذِي وُعدْنَا بِهِ إِلَّا أَخْبَارٌ بَاطِلَةٌ، وَقِصَصٌ وَأَحَادِيثٌ خُرَافِيَّةٌ، وَرَوَايَاتٌ مُخْتَلَفَةٌ لَا صِحَّةَ لَهَا، سَطَرَهَا الْأَوَّلُونَ فِي كُتُبِهِمْ؛ بِقَصْدِ الْمُسَامَرَةِ وَالتَّلَهِّيِّ بِهَا.

قُلْ - يَا مُحَمَّدٌ - لِقَوْمِكَ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ: لِمَنْ مُلْكُ الْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا مِنَ الْخَلْقِ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ مَالِكُ ذَلِكَ وَخَالِقُهُ؟

سيقولُ المشركونَ: الأرضُ وَمَنْ فِيهَا لله، فقلْ لهم حينَ يُجِيبونَكَ بذلك: أَفَلَا تَتَأَمَّلُونَ وَتَتَفَكَّرُونَ، فَتَتَذَكَّرُونَ مَا هُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَكُمْ، وَمُسْتَقَرٌّ فِي فِطْرِكُمْ؛ مَنْ أَنَّ الَّذِي قَدَرَ عَلَى خَلْقِ ذَلِكَ كُلِّهِ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ، فَتُخْلِصُونَ لَهُ، وَتَعْلَمُونَ قُدْرَتَهُ عَلَى بَعَثِ خَلْقِهِ أَحْيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!

قُلْ -يا مُحَمَّدُ- لِقَوْمِكَ: مَنْ خَالِقُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَالِكُهَا وَمَدَبِّرُهَا، وَمَنْ خَالِقُ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ الْوَاسِعِ الْمُحِيطِ بِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَمَالِكُهُ وَمَدَبِّرُهُ؟

سيقولُ المشركونَ: السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْعَرْشُ الْعَظِيمُ مِلْكُ اللَّهِ وَحْدَهُ، فقلْ لهم حينَ يُجِيبونَكَ بذلك: أَفَلَا تَتَّقُونَ سَخَطَ اللَّهِ وَغَضَبَهُ وَعَذَابَهُ عَلَى شِرْكِكُمْ بِهِ، وَوَصْفِكُمْ لَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَتَكْذِيبِكُمْ رَسُولَهُ، وَالْحَالُ أَنَّهُ كَامِلُ الْقُدْرَةِ، عَظِيمُ السُّلْطَانِ؟!

قُلْ -يا مُحَمَّدُ- لِقَوْمِكَ الْمَشْرِكِينَ: مَنْ الَّذِي بِيَدِهِ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، الْمُتَصَرِّفُ فِيهِ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِئَتِهِ؟ وَهُوَ الَّذِي يَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مِمَّنْ يُرِيدُ بِهِ السُّوءَ وَالضَّرَّ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ السُّوءَ وَالضَّرَّ عَنْ أَحَدٍ إِذَا شَاءَ اللَّهُ بِهِ ذَلِكَ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ عَظَمَةَ اللَّهِ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَبِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ؟

سيقولُ المشركونَ: ذَلِكَ كُلُّهُ لله؛ فَالْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ الَّذِي يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، فقلْ لهم حينَ يُجِيبونَكَ بذلك: فَكَيْفَ يُخَيَّلُ إِلَيْكُمْ الْبَاطِلُ حَقًّا، فَتُخَدَعُونَ وَتُصْرَفُونَ عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَتَذْهَبُ عُقُولُكُمْ مَعَ ظُهُورِهِ؛ فَلَا تُؤْجِدُونَهُ سُبْحَانَهُ فِي عِبَادَتِهِ، وَلَا تُؤْمِنُونَ بِقُدْرَتِهِ عَلَى بَعَثِكُمْ أَحْيَاءَ بَعْدَ مَوْتِكُمْ؟!

بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ، وَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ لَكَاذِبُونَ فِي دَعْوَاهُمْ
الشَّرِيكَ وَالْوَلَدَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَنُفِيهِم الْبَعْثُ.
مَا اتَّخَذَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَلَدًا كَمَا يَزْعُمُ النَّصَارَى وَمُشْرِكُو الْعَرَبِ
وغيرهم، وَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ شَرِيكَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ مَعَهُ، لَوْ كَانَ
مَعَ اللَّهِ آلَهُةٌ أُخْرَى، لَا عِتْزَلَ كُلِّ إِلَهٍ بِمَا يَخْلُقُ وَانْفِرَدَ بِتَدْبِيرِهِ؛
فَلَا تَنْتَظِمُ شُؤُونُ الْكَوْنِ، وَلَطَلَبَ كُلُّ إِلَهٍ أَنْ يَعْلُوَ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ
الْآلِهَةِ وَيَقْهَرَهُ، فَيَغْلِبُ الْقَوِيُّ مِنْهُمْ الضَّعِيفَ، فَلَا يُمَكِّنُ مَعَ ذَلِكَ
اِنْتِظَامُ الْعَالَمِ هَذَا اِلْتِظَامَ الْعَجِيبِ الْمُتَّسِقِ، تَنْزَرَهُ اللَّهُ عَمَّا يَصِفُهُ
الْمُشْرِكُونَ.

عَالِمٌ مَا غَابَ عَنْ خَلْقِهِ مِمَّا لَمْ يُشَاهِدُوهُ، وَعَالِمٌ مَا يَرَوْنَهُ
وَيُشَاهِدُونَهُ؛ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ السِّرُّ وَلَا الْعِلَانِيَةُ، فَارْتَفَعَ اللَّهُ وَتَنَزَّهَ
عَنْ شَرِكِ الْمُشْرِكِينَ، وَمَا يَصِفُونَهُ بِهِ مِنَ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ.
قُلْ -يَا مُحَمَّدُ-: يَا رَبِّ، إِنْ أَرَيْتَنِي مَا وَعَدْتَ هَؤُلَاءِ
الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ نُزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ.

رَبِّ، فَجَنِّني جِنْدَاكَ، وَلَا تَجْعَلْنِي فِيهِمْ.
وَأَنَا -يَا مُحَمَّدُ- عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ مِنَ
الْعَذَابِ لِقَادِرُونَ، وَإِنَّمَا نُؤَخِّرُهُ لِحِكْمَةٍ؛ فَلَا يَحْزُنُكَ تَكْذِيبُهُمْ.

ادْفَعْ -يَا مُحَمَّدُ- أَدَى أَوْلَئِكَ الْقَوْمِ بِالْخَصْلَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
الْخِصَالِ؛ بَأَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهِمْ، وَتَصْفَحَ عَنْهُمْ، وَتَصْبِرَ عَلَى أَذَاهُمْ،
نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُ أَوْلَئِكَ الْمُشْرِكُونَ بِهِ رَبَّهُمْ مِنَ الْأَكَاذِيبِ
وَالْأَبَاطِيلِ الْمُخْتَلَفَةِ، وَبِمَا يَقُولُونَ فِيكَ مِنَ السُّوءِ.

وَقُلْ -يَا مُحَمَّدُ-: يَا رَبِّ، أَعْتَصِمْ بِكَ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيَاطِينِ،
وَنَزَغَاتِهِمْ.

وَأَعْتَصِمْ بِكَ - يَا رَبِّ - أَنْ يَحْضُرَ الشَّيَاطِينُ شَيْئًا مِنْ أُمُورِي،
فِيُصِيبُونِي بِشَرٍّ وَأَذًى.

حَتَّى إِذَا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ أَحَدَ الْمُفَرِّطِينَ الظَّالِمِينَ، فَانْكَشَفَ
لَهُ الْغَطَاءُ، وَظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ، وَلاَحَتْ لَهُ أَمَارَاتُ الْعَذَابِ؛ قَالَ
نَادِمًا: يَا رَبِّ، ارْجِعُونِي إِلَى الدُّنْيَا.

لَأَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا أَسْتَدْرِكُ بِهِ مَا ضَيَعْتُهُ وَفَرَّطْتُ فِيهِ مِنَ
الْإِيمَانِ وَمَا يَتَّبِعُهُ مِنَ الطَّاعَاتِ.

وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ هَذَا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ؛ فَلَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ
طَلَبَ إِمهَالِهِ وَإِرْجَاعِهِ إِلَى الدُّنْيَا لِيَعْمَلَ صَالِحًا، فَطَلَبَهُ الرُّجُوعَ
إِلَى الدُّنْيَا مُجَرَّدُ كَلَامٍ يَقُولُهُ حِينَ تَحْضُرُهُ الْوَفَاةُ، وَمِنْ أَمَامِ
هُوَ لَاءِ الْمَوْتِ حَاجِرٌ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَحْجُزُهُمْ عَنِ الرُّجُوعِ
إِلَى الدُّنْيَا، مِنْ وَقْتِ مَوْتِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَبْعَثُ اللَّهُ فِيهِ
النَّاسَ أَحْيَاءً مِنْ قُبُورِهِمْ.

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةُ الْبَعْثِ، وَقَامَ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ،
فَلَا تَنْفَعُهُمْ حِينَتُهُمْ أَنْسَابُهُمْ، وَلَا يَفْتَخِرُونَ بِهَا، وَلَا يَسْأَلُ أَحَدٌ مِنْهُمْ
أَحَدًا؛ لَا شَتَالَ كُلِّ وَاحِدٍ بِنَفْسِهِ.

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُ حَسَنَاتِهِ، وَرَجَحَتْ عَلَى سَيِّئَاتِهِ؛ فَأُولَئِكَ
هُمْ الْفَائِزُونَ بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ، وَالْخُلُودِ فِي الْجَنَّةِ.

وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينُ حَسَنَاتِهِ، وَرَجَحَتْ مَوَازِينُ سَيِّئَاتِهِ؛
فَأُولَئِكَ الَّذِينَ غَبَنُوا أَنْفُسَهُمْ حُظُوظَهَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَفَاتَهُمُ
التَّعْيِيمُ الْمُقِيمُ، فَخَابُوا وَهَلَكُوا! هُمْ فِي جَهَنَّمَ مَآكِنُونَ لَا يَخْرُجُونَ
مِنْهَا.

تُصِيبُ نَارُ جَهَنَّمَ وُجُوهَهُمْ فَتُحَرِّقُهَا إِحْرَاقًا شَدِيدًا، وَهُمْ فِي جَهَنَّمَ عَابِسُونَ قَدْ تَقَلَّصَتْ شِفَاهُهُمْ، وَظَهَرَتْ أَسْنَانُهُمْ؛ مِنْ أَثَرِ الْعَذَابِ.

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَمْ تَكُنْ آيَاتُ كِتَابِي تَتَّبَعُ عَلَيْكُمْ قِرَاءَتُهَا فِي الدُّنْيَا شَيْئًا فَشِيئًا، فَكُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهَا؟ قَالَ أَهْلُ النَّارِ: رَبَّنَا غَلَبَ عَلَيْنَا مَا سَبَقَ لَنَا فِي سَابِقِ عِلْمِكَ، وَكَتَبْتَهُ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، وَمَا قَدَّرْتَهُ عَلَيْنَا مِنْ شَقَاوَةٍ، فَكَذَّبْنَا الرُّسُلَ، وَلَمْ نَهْتَدِ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْنَا؛ لِنَصِيرَ إِلَى مَا سَبَقَ فِي عِلْمِكَ، وَكُنَّا فِي الدُّنْيَا قَوْمًا ضَالِّينَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، تَائِهِينَ عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ.

قَالُوا: رَبَّنَا أَخْرَجْنَا مِنَ النَّارِ إِلَى الدُّنْيَا، فَإِنْ عُذْنَا إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ، فَنَحْنُ ظَالِمُونَ لَأَنْفُسِنَا، وَمُسْتَحِقُّونَ لِلْعِقَابِ.

قَالَ اللَّهُ لِأَهْلِ النَّارِ: افْعُدُوا فِي النَّارِ دَلِيلِينَ مُبْعِدِينَ حَقِيرِينَ، وَلَا تُكَلِّمُونِي فِي إِخْرَاجِكُمْ مِنْهَا.

إِنَّهُ كَانَ فِي الدُّنْيَا جَمَاعَةٌ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَضْعَفِينَ يَقُولُونَ فِي دُعَائِهِمْ: رَبَّنَا آمَنَّا بِكَ وَبِجَمِيعِ مَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُكَ؛ فَاسْتُرْ ذُنُوبَنَا، وَتَجَاوَزْ عَنْ مُوَاحَدَتِنَا بِهَا، وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ أَفْضَلُ مَنْ رَحِمَ.

فَاسْتَهْزَأْتُمْ بِهِؤَلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنْ أَنْسَاكُمْ اسْتِعَاظَكُمْ بِالسُّخْرِيَةِ مِنْهُمْ ذِكْرِي، وَكُنْتُمْ تَضْحَكُونَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا. إِنِّي جَزَيْتُ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا وَكُنْتُمْ تَضْحَكُونَ مِنْهُمْ؛ بِسَبَبِ صَبْرِهِمْ عَلَى مَا نَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْكُمْ مِنْ

أَدَّى وَاسْتِهْزَأَ، وَصَبَرَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ، وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ، أَنَّهُمْ
الْفَائِزُونَ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي الْجَنَّةِ، النَّاجُونَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ.
قَالَ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِأُولَئِكَ الْأَشْقِيَاءِ: كَمْ كَانَتْ مُدَّةُ مُكُنتُمْ فِي
الْأَرْضِ مِنَ السِّنِينَ؟

قَالُوا: مَكُنَّا فِي الْأَرْضِ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، فَاسْأَلِ الْحَاسِبِينَ
الضَّابِّطِينَ لِمِقْدَارِ ذَلِكَ.

قَالَ اللَّهُ لَهُمْ: مَا لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا وَقْتًا يَسِيرًا، لَوْ أَنكُمْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ قَلَّةَ لَبِثِكُمْ فِي الدُّنْيَا لَمَا أَثَرْتُمْ الدُّنْيَا الْفَانِيَةَ عَلَى الْآخِرَةِ
الْبَاقِيَةِ، فَتَرَكْتُمْ طَاعَةَ اللَّهِ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الْقَصِيرَةِ، وَاسْتَحَقَّقْتُمْ
سَخَطَهُ، وَخَسِرْتُمْ النَّعِيمَ الْأَبَدِيَّ.

أَفْظَنْنْتُمْ أَنَّنِي خَلَقْتُكُمْ لَعِبًا وَبَاطِلًا، بَلَا قَصْدٍ وَلَا فَائِدَةٍ وَلَا
حِكْمَةٍ، مُهْمَلِينَ؛ لَا تُؤْمَرُونَ وَلَا تُنْهَوْنَ، وَلَا تُثَابَتُونَ وَلَا
تُعَاقَبُونَ؟! وَتَحْسِبُونَ أَنكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ لَا تُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْيَاءَ
لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ عَلَى أَعْمَالِكُمْ خَيْرَهَا وَشَرِّهَا؟!

فَتَعَاظَمَ وَتَقَدَّسَ اللَّهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ؛ فَإِنَّهُ التَّامُّ
الْمُلْكُ؛ فَلَا زَوَالَ لَهُ وَلَا لِمُلْكِهِ، قَدْ قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ، الَّذِي لَا يَنْتَرِقُ
الْبَاطِلُ إِلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَاتِهِ وَلَا صِفَاتِهِ، لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ،
وَكُلُّ مَا سِوَاهُ عَبِيدُهُ؛ فَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
رَبُّ الْعَرْشِ الشَّرِيفِ الْحَسَنِ الْبَهِيِّ الْمُنْظَرِ، الَّذِي هُوَ سَقْفُ
الْمَخْلُوقَاتِ وَأَعْظَمُهَا.

وَمَنْ يَعْبُدْ مَعَ اللَّهِ مَعْبُودًا آخَرَ لَا حُجَّةَ لَهُ عَلَى عِبَادَتِهِ؛ فَرَبُّهُ
وَحْدَهُ سَيُحَاسِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُعَذِّبُهُ عَلَى شَرِكِهِ بِهِ، إِنَّهُ لَا يَنْجَحُ
الْكَافِرُونَ، وَلَا يَسْعُدُونَ، وَلَا يَفُوزُونَ، وَلَا يَنَالُونَ الْخُلُودَ فِي
نَعِيمِ الْجَنَّةِ، بَلْ هُمْ أَهْلُ النَّارِ الْهَالِكُونَ.

وَقُلْ - يَا مُحَمَّدٌ -: يَا رَبِّ، اسْتُرْ ذُنُوبَنَا، وَتَجَاوِزْ عَنْ مُؤَاخَذَتِنَا
بِهَا، وَارْحَمْنَا فِي دُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا، وَأَنْتَ أَفْضَلُ مَنْ رَحِمَ.
هذه سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَبَيَّنَّا مَا فِيهَا مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَالنَّوَاهِي،
وَقَدَرْنَا مَا فِيهَا مِنَ الْخُدُودِ وَالْحُقُوقِ، وَأَوْجَبْنَا الْإِيمَانَ بِهَا وَبِمَا
تَضَمَّنَتْهُ، وَالْعَمَلَ بِمَا فِيهَا، وَأَنْزَلْنَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ عِلَامَاتٍ
وَدَلَالَاتٍ وَاضِحَاتٍ تُبَيِّنُ الْحَقَّ لِمَنْ تَدَبَّرَهَا؛ وَذَلِكَ لِكَيْ تَتَذَكَّرُوا
وَتَتَعَذَّبُوا، وَتَعْمَلُوا بِهَا.

مَنْ زَنَى مِنَ النِّسَاءِ أَوْ الرِّجَالِ - إِذَا كَانَا حُرَّيْنِ، مَكْلَفَيْنِ،
بِكْرَيْنِ غَيْرِ مُحْصَنَيْنِ - فَاجْلِدُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
مِئَةَ جَلْدَةٍ؛ عُقُوبَةً لِهَمَا، وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِالزَّانِيَةِ وَالزَّانِي رِقَّةٌ فِي
حُكْمِ اللَّهِ، تَمْنَعُكُمْ مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِمَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ
اللَّهُ تَعَالَى، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ حَقًّا بِاللَّهِ وَبِالْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْجَزَاءِ
عَلَى الْأَعْمَالِ، وَلَيَحْضُرْ جَلْدَ الزَّانِيَيْنِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.
الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً مِثْلَهُ أَوْ مُشْرِكَةً بِاللَّهِ، وَالزَّانِيَةُ لَا
يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ مِثْلُهَا أَوْ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ.

وَالَّذِينَ يَقْذِفُونَ الْمُسْلِمَاتِ الْحَرَائِرَ الْمَكْلَفَاتِ الْعَفِيفَاتِ بِالزَّنَا،
وَلَمْ يَحْضُرُوا أَرْبَعَةً مِنَ الرِّجَالِ الْعُدُولِ؛ لِيَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَتُهُمْ
رَأَوْهُنَّ يَفْعَلْنَ الزَّنَا؛ فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُنَّ ثَمَانِينَ جَلْدَةً؛ عُقُوبَةً
لَهُمْ عَلَى الْقَذْفِ بِلَا بَيِّنَةٍ، وَلَا تَقْبَلُوا لِلْقَاضِيَيْنِ بَعْدَ جَلْدِهِمْ شَهَادَةً
فِي بَقِيَّةِ حَيَاتِهِمْ؛ عُقُوبَةً أُخْرَى لَهُمْ عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ، وَأُولَئِكَ
الْقَاضِفُونَ هُمُ الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ.

إِلَّا الَّذِينَ نَدِمُوا عَلَى قَذْفِهِمْ، وَأَقْلَعُوا عَنْ مَعْصِيَةِ الْقَذْفِ بَعْدَ
وُقُوعِهِمْ فِيهَا، وَعَزَمُوا عَلَى عَدَمِ الْعُودَةِ إِلَيْهَا، وَأَصْلَحُوا

أحوالهم وأعمالهم، فإنَّ الله غفورٌ يسرُّ ذُنُوبَهُمْ وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مُؤَاخَذَتِهِمْ بِهَا، رَحِيمٌ بِهِمْ، فاقْبَلُوا شَهَادَتَهُمْ، وَلَا تُسْمَوْهُمْ فَاسِقِينَ. وَالَّذِينَ يَقْدِفُونَ زَوَاجَتِهِمْ بِالزَّنا، وَلَيْسَ لَدَيْهِمْ أَرْبَعَةُ شُهُودٍ يَشْهَدُونَ عَلَى صِحَّةِ مَا رَمَوْهُنَّ بِهِ غَيْرُ أَنْفُسِهِمْ، فِي تِلْكَ الْحَالِ يَشْهَدُ الزَّوْجُ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ، يَحْلِفُ فِيهَا بِاللَّهِ فَيَقُولُ: إِنَّهُ لَمِنْ الصَّادِقِينَ فِيمَا رَمَى بِهِ زَوْجَتَهُ مِنَ الزَّنا.

وَالشَّهَادَةُ الْخَامِسَةُ يَقُولُ فِيهَا: إِنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاجِبَةٌ وَحَالَةٌ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ فِيمَا رَمَى بِهِ زَوْجَتَهُ مِنَ الزَّنا.

وَيَدْفَعُ حَدَّ الزَّنا عَنِ الزَّوْجَةِ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ، تَحْلِفُ فِيهَا بِاللَّهِ فَيَقُولُ: إِنَّ زَوْجَهَا لَمِنْ الْكَاذِبِينَ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّنا. وَتَشْهَدُ الْمَرْأَةُ الشَّهَادَةَ الْخَامِسَةَ، فَيَقُولُ فِيهَا: إِنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ زَوْجُهَا مِنَ الصَّادِقِينَ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّنا.

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَرَحْمَتُهُ بِكُمْ، وَأَنَّ اللَّهَ يَجُودُ عَلَى خَلْقِهِ بِنِعْمِهِ، وَأَنَّهُ تَوَابٌ يَتُوبُ عَلَى التَّائِبِينَ، حَكِيمٌ فِي قَدْرِهِ وَشَرْعِهِ وَتَدْبِيرِ خَلْقِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا شَرَعَ لِعِبَادِهِ مِنْ حُكْمِ اللَّعَانِ - لِعَاجِلِكُمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى مَعَاصِيكُمْ، وَلِفَضْحِ الْمُذْنِبِينَ مِنْكُمْ، فَاشْكُرُوا اللَّهَ وَاتَّقَوْهُ.

إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْبُهْتَانِ وَالْكَذِبِ الشَّنِيعِ بَقَذَفِهِمْ عَائِشَةً، جَمَاعَةً فِي عِدَائِكُمْ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، لَا تَنْظُرُوا قَذَفَهُمْ لَهَا شَرًّا لَكُمْ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِمَّنْ تَكَلَّمَ بِالْإِفْكِ نَصِيبُهُ مِنَ الْعَذَابِ؛ جَزَاءً لَهُ بِقَدْرِ ذَنْبِهِ، وَالَّذِي تَحْمَلُ مُعْظَمَ ذَلِكَ الْإِثْمِ وَالْإِفْكِ - وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ - لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ فِي الْآخِرَةِ.

هَلَّا حِينَ سَمِعْتُمْ قَوْلَ أَهْلِ الْإِفْكِ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ السَّلَامَةَ مِمَّا رُمُوا بِهِ مِنَ الْإِفْكِ! وَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ: هَذَا الَّذِي يَقُولُهُ أَهْلُ الْإِفْكِ كَذِبٌ وَاضِحٌ عَلَى أُمَّ
الْمُؤْمِنِينَ.

هَلَّا جَاءَ أَهْلُ الْإِفْكِ بِأَرْبَعَةِ رِجَالٍ غُدُولٍ يَشْهَدُونَ عَلَى صِحَّةِ
مَا رَمَوْا بِهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا! فَإِذْ لَمْ يَأْتِ الْقَاضِفُونَ بِأَرْبَعَةِ
شُهَدَاءَ يَشْهَدُونَ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالُوا، فَإِنَّهُمْ فِي حُكْمِ اللَّهِ كَاذِبُونَ.
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْخَائِضُونَ فِي الْإِفْكِ - وَرَحْمَتُهُ
بَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بِإِمْهَالِهِ لَكُمْ لَتَتُوبُوا، وَقَبُولِ تَوْبَتِكُمْ،
وَعَفْوِهِ عَنْكُمْ، وَعَدَمِ مُعَاجَلَتِكُمْ بِالْعُقُوبَةِ - لِأَصَابِكُمْ بِسَبَبِ
خَوْضِكُمْ فِي عَرَضِ عَائِشَةَ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

لَمَسَّكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ حِينَ تَتَلَقَّوْنَ الْإِفْكَ، وَيَأْخُذُهُ وَيُرْوِيهِ
بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَتَقُولُونَ فِي عَائِشَةَ كَلَامًا لَيْسَ لَكُمْ أَيُّ دَلِيلٍ
عَلَى صِحَّتِهِ! وَتَظُنُّونَ أَنَّ تَلَقِّيَكُمْ الْإِفْكَ، وَرَوَايَةَ بَعْضِكُمْ لَهُ عَنْ
بَعْضٍ، وَالْخَوْضَ فِيهِ بِلَا عِلْمٍ - أَمْرٌ سَهْلٌ يَسِيرٌ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ
ذَنْبٌ عَظِيمٌ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ!

وَهَلَّا حِينَ سَمِعْتُمْ الْإِفْكَ قُلْتُمْ: مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا
الْبَاطِلِ أَوْ نَذْكُرَهُ لِأَحَدٍ، نَنْزَهُكَ - يَا رَبَّنَا - وَنَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ هَذَا
الْكَذِبِ الْعَظِيمِ!

يُذَكِّرُكُمْ اللَّهُ وَيَنْهَاكُمْ؛ لئَلَّا تَعُودُوا لِقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ،
وَالْخَوْضِ فِي أَعْرَاضِهِنَّ بِلَا عِلْمٍ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ
وَشَرِّعِهِ، وَتَتَعَطَّوْنَ بِعِظَاتِهِ، فَتَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَتَأْتِمِرُونَ
بِأَمْرِهِ.

ويوضحُ الله لكم آياتِ كتابه، فيجعلُها لكم واضحةً الدلالةِ على المقصود؛ لتعملوا بها وتتَعظوا، والله عليمٌ بكلِّ شيءٍ، ومن ذلك عِلْمُه بعباده وما يُصلحُهم، وعِلْمُه بأعمالهم، فيُجازي كلًّا بما قدَّم من خيرٍ أو شرٍّ، وهو ذو الحكمةِ التامةِ العامَّةِ، ومن ذلك حكمته في شرعه، وتكليفِ عباده، وتدبيرِ خلقه، فيضَعُ كُلَّ شيءٍ في موضعه اللائِقُ به.

إنَّ الذين يُحِبُّون أن يظهرَ الرِّنا، ويشيعَ خبره، والقذفُ به في أوساطِ المؤمنينَ والمؤمناتِ؛ لهم عذابٌ مؤلِّمٌ في الدنيا وفي الآخرة، والله يَعْلَمُ جميعَ المعلوماتِ، ومن جملةِ ذلك عِلْمُه ما في القلوب، ومن يُحِبُّ إشاعةَ الفاحشةِ، وهو معاقِبُه عليها، ويعْلَمُ كَذِبَ الذين جاؤوا بالإفك، ويعْلَمُ ما في ذلك من المفسادِ فيَعْظُمُكُم لتَجْتَنِبُوا، وأنتم لا تعلمونَ إلا ما عِلْمُكم، وبيِّنَ لكم، فرُدُّوا الأمورَ إليه تَرشُدوا.

ولولا فَضْلُ اللهِ عليكم ورحمتهُ وأنَّه رُوِّفَ بكم؛ لَعَجَلَ لكم العُقوبةَ علي خَوْضِكُم في الإفك، لَكِنَّه لم يعاقِبْكم، وتاب عليكم. يا أيُّها الذين آمَنُوا لا تَسْلُكُوا طُرُقَ الشَّيْطَانِ الَّتِي يَدْعُوكم إليها بوساوسه، كإشاعةِ الفاحشةِ في الذين آمَنُوا، ومن يَسْلُكْ طُرُقَ الشَّيْطَانِ يَقَعْ في الفحشاءِ والمنكرِ؛ لأنَّه يأْمُرُ بفعلِ الذنوبِ العظيمةِ القبيحةِ، كالزِّنا، ويأْمُرُ بمُنكَراتِ الأقوالِ والأفعالِ، ولولا فَضْلُ اللهِ عليكم ورحمتهُ بكم، ما تَطَهَّرَ أَحَدٌ منكم أَبَدًا من الشِّرْكِ والمعاصي، ولكنَّ الله يُطَهِّرُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عباده، ممَّنْ يستحقُّ ذلك، والله سميعٌ لأقوالكم كُلِّها؛ خَيْرُها وَشَرُّها، عليمٌ بأقوالكم وأعمالكم وما في قلوبكم، وهو محيطٌ بكلِّ ذلك، ومُحصيه عليكم؛ لِإِجْازِيكُمْ به.

وَلَا يَحِلْفُ بِاللَّهِ أَصْحَابُ الْفَضْلِ وَالْغِنَى وَذَوُو السَّعَةِ فِي الرِّزْقِ، عَلَى أَلَّا يُنْفِقُوا عَلَى أَقَارِبِهِمُ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلْيَعْفُوا عَنْ أَوْلَئِكَ الْمَحْتَاجِينَ الَّذِينَ خَاضُوا فِي الْإِفْكِ، وَيَتَجَاوَزُوا عَنْهُمْ، وَيُعْرِضُوا عَنْ ذُنُوبِهِمْ، وَيَتْرَكُوا عُقُوبَتَهُمْ؛ فَلَا يَمْنَعُوهُمْ مَا كَانُوا يُقَدِّمُونَهُ إِلَيْهِمْ مِنْ قَبْلُ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَسْتُرَ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مَوَآخِذِكُمْ بِهَا؟ إِنَّنِي فَاعُفُوا وَاصْفَحُوا عَمَّنْ أَسَاءُوا إِلَيْكُمْ؛ لِيَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَاللَّهُ سَاتِرٌ لَذُنُوبِ التَّائِبِينَ الطَّائِعِينَ، وَمُتَجَاوِزٌ عَنْ مَوَآخِذِهِمْ بِهَا، رَحِيمٌ بَعْبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ.

إِنَّ الَّذِينَ يَقْذِفُونَ بِالرِّيَا الْعَفِيفَاتِ الْغَافِلَاتِ عَنِ الْفَاحِشَةِ الْمُؤْمِنَاتِ، وَلَمْ يَتُوبُوا مِنْ قَذْفِهِنَّ؛ أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فِي جَهَنَّمَ، إِنْ لَمْ يَتُوبُوا قَبْلَ وَفَاتِهِمْ مِنْ قَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ.

لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ، فَتَنْطِقُ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِمْ بِمَا كَانُوا يَكْتَسِبُونَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الذُّنُوبِ، بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، كَالْقَذْفِ وَغَيْرِهِ.

يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ حِسَابَهُمْ بِالْعَدْلِ، وَيُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِلا ظُلْمٍ، وَيَنْكَشِفُ لَهُمْ حَيْثُهَا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمَوْجُودُ الثَّابِتُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، الظَّاهِرُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَالْهَادِي مَنْ يَشَاءُ، الْمُظْهَرُ لِلْحَقَائِقِ فِي الْآخِرَةِ.

الْخَبِيثَاتُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالنِّسَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ لَا تَقَّةٌ وَمُنَاسِبَةٌ لِلْخَبِيثِينَ، وَكَذَلِكَ الْخَبِيثُونَ أَهْلٌ لِلْخَبِيثَاتِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالنِّسَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالنِّسَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ لَا تَقَّةٌ وَمُنَاسِبَةٌ لِلطَّيِّبِينَ، وَكَذَلِكَ الطَّيِّبُونَ أَهْلٌ

لِلطَّيِّبَاتِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالنِّسَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، أَوْلَئِكَ
الطَّيِّبُونَ وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ بُعْدَاءُ وَمَنْزَهُونَ مِنَ
الْخُبْنِ الَّذِي يَنْسُبُهُ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الْإِفْكِ، لَهُوْلَاءِ الطَّيِّبِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ، فِي الْآخِرَةِ، مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ لِدُنُوبِهِمْ، وَرِزْقٌ حَسَنٌ فِي
جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ غَيْرِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا
مِنْهُمْ فِي دُخُولِهَا، وَتُسَلِّمُوا عَلَى سَاكِنِيهَا، ذَلِكَ اسْتِئْذَانٌ
وَالسَّلَامُ أَفْضَلُ لِلْمُسْتَأْذِنِ وَلِأَهْلِ الْبَيْتِ، أَمَرَكَ اللَّهُ بِذَلِكَ لِطُغْيَعِهِ
بِفَعْلِ هَذِهِ الْأَدَابِ، وَتَعَلَّمُوا أَنَّهَا خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الدُّخُولِ بِلَا إِذْنٍ وَلَا
سَلَامٍ، فَتَتَعِظُوا وَتَأْخُذُوا بِهَا.

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِي بُيُوتِ غَيْرِكُمْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا، فَاصْبِرُوا وَلَا
تَدْخُلُوهَا إِلَى أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ بِالدُّخُولِ، فَإِنْ أَذِنَ لَكُمْ فَادْخُلُوا، وَإِنْ
اسْتَأْذَنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتِ فِي دُخُولِ بُيُوتِهِمْ، فَلَمْ يَأْذِنُوا لَكُمْ، وَقَالُوا
لَكُمْ: انصَرَفُوا؛ فَانصَرَفُوا بِلَا غَضَبٍ، وَلَا تُلْحُوا عَلَيْهِمْ فِي طَلَبِ
الْإِذْنِ، وَلَا تَبْقُوا عِنْدَ بُيُوتِهِمْ مُنْتَظِرِينَ. فَانصَرَفُوكُمْ أَطَهَرَ لَكُمْ،
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا؛ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا.

لَا إِثْمَ وَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا -مِنْ غَيْرِ اسْتِئْذَانٍ- بُيُوتًا لَا
يَسْكُنُهَا أَحَدٌ؛ لَتَنْتَفِعُوا بِهَا؛ كَالْبُيُوتِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى الطَّرِيقِ
لِلْمُسَافِرِينَ، وَالْبُيُوتِ الْخَرِبَةِ، وَحَوَانِيتِ التِّجَارِ، وَالمَكْتَبَاتِ،
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُظْهَرُونَ، وَمَا تُخْفَوْنَ فِي قُلُوبِكُمْ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِلْمُؤْمِنِينَ يَكْفُوا نَظَرَ هُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ،
وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ؛ كَالزَّانَا، وَكَأَنْ يَرَاهَا أَوْ يَمَسَّهَا
أَحَدٌ لَا يَحِلُّ لَهُ ذَلِكَ، فَذَلِكَ أَطَهَرُ وَأَطْيَبُ لِقُلُوبِهِمْ، وَأَفْضَلُ لَهُمْ
فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَأَنْمَى لِأَعْمَالِهِمْ، وَأَبْعَدُ لَهُمْ مِنَ الْخَطَايَا

والآثام، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُ النَّاسُ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَلْيَجْتَهِدُوا فِي طَاعَتِهِ، وَلْيَحْذَرُوا مِنْ مَعْصِيَتِهِ.

وَقُلْ -يا مُحَمَّدُ- لِلْمُؤْمِنَاتِ يَكْفُفَنَّ النَّظَرَ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ؛ كَالزَّانَا، وَكَأَنْ يَرَاهَا أَوْ يَمَسُّهَا أَحَدٌ لَا يَحِلُّ لَهُ ذَلِكَ، وَلَا يُظْهِرْنَ شَيْئًا مِنَ الزَّيْنَةِ لِلْأَجَانِبِ، إِلَّا مَا لَا يُمَكِّنُ إِخْفَاؤُهُ؛ كظَاهِرِ الثِّيَابِ الَّتِي جَرَتْ الْعَادَةُ بَلْبُسِهَا، وَلْيُلْقِينَ الْخُمُرَ -وهي مَا تُغَطِّي بِهِ الْمَرْأَةُ رَأْسَهَا- عَلَى فَتَحَاتِ الْقُمُصِ الْمُحِيطَةِ بِالْأَعْنَاقِ، وَيَشَدُّدَتْهَا؛ لِيَسْتُرْنَ شُعُورَهُنَّ، وَأَذَانَهُنَّ، وَأَعْنَاقَهُنَّ، وَنَحُورَهُنَّ، وَصُدُورَهُنَّ، وَلَا يُظْهِرْنَ زِينَتَهُنَّ الْخَفِيَّةَ إِلَّا لِأَزْوَاجِهِنَّ، أَوْ لِأَبْنَائِهِنَّ، وَأَجْدَادِهِنَّ مِنْ جِهَةِ آبَائِهِنَّ وَأُمَمَاتِهِنَّ، أَوْ لِأَبَاءِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَأَجْدَادِهِمْ مِنْ جِهَةِ آبَائِهِمْ وَأُمَمَاتِهِمْ، أَوْ لِأَبْنَائِهِنَّ وَأَحْفَادِهِنَّ مِنْ جِهَةِ أَبْنَائِهِنَّ وَبَنَاتِهِنَّ، أَوْ لِأَبْنَاءِ أَزْوَاجِهِنَّ مِنْ غَيْرِهِنَّ وَأَحْفَادِهِمْ، أَوْ لِإِخْوَانِهِنَّ الْأَشْقَاءِ أَوْ لِأَبٍ أَوْ لِأُمٍّ، أَوْ لِبَنِي إِخْوَانِهِنَّ وَأَبْنَائِهِمْ ذُكُورًا وَإِنَاثًا، أَوْ لِبَنِي أَخَوَاتِهِنَّ وَأَبْنَائِهِمْ ذُكُورًا وَإِنَاثًا، أَوْ لِنِسَائِهِنَّ، أَوْ لِمَمَالِكِهِنَّ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، أَوْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ مِنَ الرِّجَالِ مِمَّنْ لَا شَهْوَةَ لَهُمْ فِي النِّسَاءِ، أَوْ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُعُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ، وَلَمْ يَعْرِفُوا أَحْوَالَهُنَّ، وَلَا يَشْتَهَوْنَهُنَّ؛ لِصِغَرِهِمْ، وَلَا تَضْرِبِ النِّسَاءُ بِأَرْجُلِهِنَّ الْأَرْضَ، أَوْ بِأَحَدِي الرِّجْلَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى؛ لِيُظْهَرَ صَوْتُ مَا خَفِيَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ، وَثُوبُوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ- جَمِيعًا بِإِخْلَاصٍ لِلَّهِ، وَارْجِعُوا إِلَى طَاعَتِهِ سُبْحَانَهُ فِيمَا أَمَرَكَ بِهِ، وَنَهَاكَ عَنْهُ؛ لِتَفُوزُوا فِي دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ.

وَزَوَّجُوا -أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ- كُلَّ مَنْ لَا زَوْجَ لَهُ مِنْكُمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ الْأَحْرَارِ، وَزَوَّجُوا -أَيُّهَا الْمَالِكُونَ لِلْعَبِيدِ- كُلَّ

مَنْ لَا زَوْجَ لَهُ مِنْ مَمَالِكِكُمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ الصَّالِحِينَ، إِنْ يَكُنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تُنْكِحُونَهُمْ - مِنْ أَيْمَى رَجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ، وَعَبِيدِكُمْ وَإِمَائِكُمْ - أَهْلَ فَاقَةٍ وَقَفَرٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُغْنِيهِمْ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَلَا تَمْتَنِعُوا عَنْ تَزْوِيجِهِمْ بِسَبَبِ فَقْرِهِمْ، وَاللَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ وَالْغِنَى، عَلِيمٌ بِعِبَادِهِ وَأَحْوَالِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْهُمْ الْإِغْنَاءَ مِنْ فَضْلِهِ.

وَلْيُلْزِمِ الْكَفَّ وَالْامْتِنَاعَ عَنِ الْوُقُوعِ فِيهَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنَ الْفَوَاحِشِ، الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ قُدْرَةً عَلَى النِّكَاحِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ الْأَحْرَارِ وَالْعَبِيدِ، وَلْيَصْبِرُوا عَلَى مَشَقَّةِ الْعُزُوبَةِ حَتَّى يُبَيِّسَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ مَا يَتَزَوَّجُونَ بِهِ. وَالَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْمُكَاتَبَةَ مِنْكُمْ - أَيُّهَا الْمَالِكُونَ لِلْعَبِيدِ - مِنْ مَمَالِكِكُمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، فَأَجْبِيوهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا لِيَتَحَرَّرُوا مِنَ الرِّقِّ، إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ قُدْرَةً عَلَى كَسْبِ الْمَالِ، وَأَمَانَةً لِلْوَفَاءِ بِمَا التَّزَمُوا لَكُمْ، وَأَعْطُوا الْمُكَاتِبِينَ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي رَزَقَكُمْ. وَلَا تُكْرَهُوا إِمَاءَكُمْ عَلَى الزَّنا إِنْ أَرَدْنَ التَّعَفُّفَ عَنْهُ، وَذَلِكَ لِتَطْلُبُوا بِإِكْرَاهِ إِمَائِكُمْ عَلَى الزَّنا مَالًا مِنْ كَسْبِهِنَّ بِهِ، وَمَنْ يُكْرَهُ إِمَاءَهُ عَلَى الزَّنا، فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ لِهِنَّ، رَحِيمٌ بِهِنَّ، وَإِثْمُهُنَّ عَلَى مَنْ أَكْرَهَهُنَّ.

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ وَاضِحَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ، تَوْضِيحُ الْحَقِّ، وَتَمْيِزُهُ مِنَ الْبَاطِلِ، وَثَبَّتِ الْأَحْكَامَ، وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ قِصَّةً عَجِيبَةً فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ جَنْسِ قِصَصِ الْأُمَمِ الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ مَا يَعْتَبَرُ بِهِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ، وَيَخَافُونَ عِقَابَهُ، فَيَمْتَثِلُونَ أَوْامِرَهُ، وَيَجْتَنِبُونَ نَوَاهِيَهُ.

اللَّهُ مُنَوَّرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهَادِي مَنْ فِيهِمَا، وَهُوَ بِذَاتِهِ
 نُورٌ جَلٌّ وَعِلَاءٌ، مِثْلُ نُورِ اللَّهِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي هَدَاهُ اللَّهُ مِثْلُ
 كَوَّةٍ غَيْرِ نَافِذَةٍ، وَضِعَ فِيهَا مِصْبَاحٌ، وَهَذَا الْمِصْبَاحُ دَاخِلُ
 زُجَاجَةٍ تُحِيطُ بِهِ، الزُّجَاجَةُ صَافِيَةٌ وَبَهِيَّةٌ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ صَافٍ
 حَسَنٌ مُضِيءٌ، وَهَكَذَا قَلْبُ الْمُؤْمِنِ الْخَالِصِ مِنَ الْكُفْرِ وَالشَّكِّ،
 الْمَتَطَهِّرِ مِنْ دَنَسِ الْمَعَاصِي، يَسْتَمِدُّ الْمِصْبَاحُ نُورَهُ مِنْ زَيْتِ
 شَجَرَةِ زَيْتُونٍ، مُبَارَكَةٍ كَثِيرَةِ الْمَنَافِعِ، لَا شَرْقِيَّةَ تَصِيْبُهَا الشَّمْسُ
 عِنْدَ الشَّرُوقِ فَقَطْ، وَلَا غَرْبِيَّةَ تَصِيْبُهَا الشَّمْسُ عِنْدَ الْغُرُوبِ
 فَقَطْ، بَلِ الشَّمْسُ تَصِيْبُهَا طَوَالَ النَّهَارِ؛ فَيَكُونُ زَيْتُهَا أَصْفَى
 وَأَجْوَدَ وَأَشَدَّ إِضَاءَةً، يُقَارِبُ زَيْتُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ أَنْ
 يَضِيءَ بِنَفْسِهِ وَلَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ؛ مِنْ شِدَّةِ صَفَائِهِ وَتَلَأُلُئِهِ، فَإِذَا
 مَسَّهُ النَّارُ أَضَاءَ إِضَاءَةً عَظِيمَةً، اجْتَمَعَ نُورُ النَّارِ مَعَ نُورِ
 الزَّيْتِ، وَهَكَذَا الْمُؤْمِنُ قَلْبُهُ مُضِيءٌ، يَكَادُ يَعْرِفُ الْحَقَّ بِفِطْرَتِهِ
 وَعَقْلِهِ، فَإِذَا نَزَلَتْ آيَاتُ الْوَحْيِ فَبَاشَرَتْ قَلْبَهُ، أَزْدَادَ نُورًا
 بِالْوَحْيِ عَلَى نُورِ الْإِيمَانِ الَّذِي فَطَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، يَوْفُقُ اللَّهُ
 لِنُورِهِ مَنْ يَخْتَارُهُ مِمَّنْ يَعْلَمُ زَكَاءَهُ وَطَهَارَتَهُ، وَيُبَيِّنُ اللَّهُ الْأُمَثَالَ
 لِلنَّاسِ؛ لِيَفْهَمُوا مَعَانِيَهَا، وَيُدْرِكُوا مَرَامِيَهَا، كَمَا مِثْلُ لَهُمْ نُورُ
 الْقُرْآنِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ عِلْمًا بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، لَا
 يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

فِي مَسَاجِدِ أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ جَسًّا فِي الْبِنَاءِ، وَتُرْفَعَ مَعْنَى
 بَتَّعْظِيمِهَا وَتَطْهِيرِهَا وَتَنْزِيهِهَا عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهَا؛ مِنْ
 الرِّوَايَةِ الْكَرِيهَةِ، وَالْأَقْوَالِ السَّيِّئَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَذِنَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ
 أَنْ يَذْكُرُوا فِي الْمَسَاجِدِ اسْمَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يُسَبِّحُ لِلَّهِ
 بِإِخْلَاصٍ فِي الْمَسَاجِدِ بِالصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَفِي
 آخِرِهِ.

رجالٌ لا تَشْغَلُهُمْ أَيُّ تِجَارَةٍ وَلَا أَيُّ بَيْعٍ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى،
وَلَا عَنْ حُضُورِ الْمَسَاجِدِ لِأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ بِحُدُودِهَا فِي أَوْقَاتِهَا،
وَلَا عَنْ أَدَاءِ الزَّكَاةِ لِمُسْتَحِقِّيهَا فِي وَقْتِهَا، يَخَافُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
الَّذِي تَتَحَرَّكُ وَتَضْطَرُّ فِيهِ قُلُوبُ النَّاسِ وَأَبْصَارُهُمْ؛ مِنْ شِدَّةِ
الْأَهْوَالِ وَالْفَزَعِ.

وَقَدْ فَعَلُوا مَا فَعَلُوا؛ كَيْ يُثَبِّتَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَحْسَنِ مَا
عَمِلُوهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَزِيدَهُمُ اللَّهُ عَلَى ثَوَابِ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ فَوْقَ
مَا يَسْتَحِقُّونَهُ بِأَعْمَالِهِمْ، وَاللَّهُ يَنْفَضِّلُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَيَرْزُقُهُ
أَرْزَاقًا كَثِيرَةً لَا حَدَّ لَهَا وَلَا عَدَّ.

وَمَثَلُ أَعْمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا مَثَلُ سَرَابٍ فِي أَرْضٍ مُنْبَسِطَةٍ
خَالِيَةٍ مِنَ الْبِنَاءِ وَالشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَعَالِمِ، يَظُنُّ
الْعَطْشَانُ ذَلِكَ السَّرَابَ مَاءً، حَتَّى إِذَا جَاءَ إِلَى مَوْضِعِهِ يَلْتَمِسُ
الْمَاءَ، لَمْ يَجِدِ السَّرَابَ شَيْئًا مِمَّا كَانَ يَظُنُّهُ؛ فَيَهْلِكُ، وَكَذَلِكَ
الْكَافِرُونَ: يَظُنُّونَ اعْتِقَادَاتِهِمْ وَأَعْمَالَهُمْ تَنْفَعُهُمْ، فَإِذَا جَاؤُوا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَجَدُوهَا غَيْرَ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللَّهِ؛ فَلَا يَنْتَفِعُونَ بِهَا، وَوَجَدَ
الْكَافِرُ رَبَّهُ عِنْدَهُ بِالْمَرْصَادِ، فَيُجَازِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى جَمِيعِ
أَعْمَالِهِ الَّتِي عَمَلَهَا فِي الدُّنْيَا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْعَذَابِ جَزَاءً وَاقِفًا،
وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحَاسِبَةِ لِعِبَادِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ،
وَلَا يَشْغَلُهُ حِسَابٌ عَنْ حِسَابٍ.

أَوْ مَثَلُ أَعْمَالِ الْكَافِرِينَ فِي ضَلَالِهِمْ وَجَهْلِهِمُ الَّذِي لَا يَتَبَيَّنُونَ
فِيهِ الْهُدَى وَالْحَقَّ، مَثَلُ ظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ عَمِيقٍ، يَعْلُو ذَلِكَ الْبَحْرُ
مَوْجٌ، وَمِنْ فَوْقِ الْمَوْجِ مَوْجٌ آخَرُ يَعْلُوهُ، وَمِنْ فَوْقِ الْمَوْجِ الثَّانِي
سَحَابٌ مُظْلِمٌ، ظُلْمَةُ الْبَحْرِ، وَظُلْمَةُ الْمَوْجِ، وَظُلْمَةُ السَّحَابِ؛ هِيَ
ظُلُمَاتُ مُتَرَاكِمَةٍ، بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، إِذَا أُخْرِجَ مَنْ كَانَ فِي

هذه الظُّلُمَاتِ يَدَهُ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا، لَمْ يَقَارِبْ رُؤْيَيْهَا؛ مِنْ شِدَّةِ الظُّلَامِ، فَلَا يَرَاهَا مُطْلَقًا، وَمَنْ لَمْ يَهْدِهِ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا نَوْرَ الْقُرْآنِ وَيُوقِّفَهُ لِلْإِيمَانِ، فَلَا هِدَايَةَ لَهُ مِنْ أَيِّ أَحَدٍ كَانَتْ مَن كَانَ.

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ وَيُنْزِلُهُ عَنْ النَّقَائِصِ كُلِّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَكُلِّ مَنْ فِي الْأَرْضِ؛ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ وَالْجِنِّ، وَالْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ وَالْجَمَادَاتِ؟ وَالطَّيْرُ حَالِ طَيْرَانِهَا، مُصْطَفَاتِ الْأَجْنَحَةِ فِي الْهَوَاءِ، تُسَبِّحُ اللَّهَ أَيْضًا فِي حَالِ طَيْرَانِهَا، كُلِّ مَخْلُوقٍ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ ذُو عِلْمٍ بِمَا يَفْعَلُ كُلُّ مُصَلٍّ وَمُسَبِّحٍ مِنْهُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ.

وَاللَّهُ سُلْطَانُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُلْكُهُمَا وَتَدْبِيرُهُمَا، فَلَا تَتَّبِعِي الرَّهْبَةَ وَالرَّغْبَةَ وَالْعِبَادَةَ إِلَّا لَهُ وَحْدَهُ، وَإِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ مَرْجِعُ عِبَادِهِ، فَيَبْعَثُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَيُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ؛ فَلْيُحْسِنُوا عِبَادَتَهُ، وَيَجْتَهِدُوا فِي طَاعَتِهِ.

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَسُوقُ بِقُدْرَتِهِ قِطْعَ السَّحَابِ الْمَتَفَرِّقَةِ، إِلَى حَيْثُ يَرِيدُ؟ ثُمَّ يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَهَا، ثُمَّ يَجْعَلُ اللَّهُ قِطْعَ السَّحَابِ الْمَجْمُوعَةِ مُتْرَاكِمَةً؛ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَتَكُونُ قُوَّةً مُتَّصِلَةً وَكثيفةً، فَتَنْظُرُ إِلَى الْمَطَرِ يَخْرُجُ مِنْ فُتُوقِ السَّحَابِ نَقْطًا مُتَفَرِّقَةً، وَيُنْزِلُ اللَّهُ الْبَرْدَ مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، مِنْ قِطْعِ سَحَابٍ عَظِيمَةٍ كَالْجِبَالِ، فَيُصِيبُ اللَّهُ بِالْبَرْدِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ؛ عِقُوبَةً لَهُمْ، فَيَضُرُّهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَيَتَلَفُ ثَمَارَهُمْ وَزُرُوعَهُمْ، وَيَصْرِفُ الْبَرْدَ عَمَّنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ؛ رَحْمَةً بِهِمْ، فَلَا يُصِيبُهُمْ ضَرَرُهُ، يُقَارِبُ ضَوْءَ بَرَقِ السَّحَابِ أَنْ يُعِمِّيَ عُيُونَ النََّاظِرِينَ إِلَيْهِ؛ مِنْ شِدَّةِ ضَوْئِهِ وَلَمَعَانِهِ.

يُعَقِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ؛ فَيَأْتِي بِأَحَدِهِمَا بَعْدَ الْآخَرِ،
وَيَتَصَرَّفُ فِيهِمَا بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ، وَيَغَيِّرُ حَالَهُمَا بِالْحَرِّ
وَالْبَرْدِ، وَالظُّلْمَةِ وَالنُّورِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَيُدِيلُ الْأَيَّامَ بَيْنَ عِبَادِهِ،
وَيَرْفَعُ أَقْوَامًا وَيَضَعُ آخَرِينَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِظَةً
لِأَصْحَابِ الْعُقُولِ النَّافِذَةِ، الَّذِينَ يَعْتَبِرُونَ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ، فَيَسْتَدِلُّونَ
بِذَلِكَ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ.

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ كَائِنٍ حَيٍّ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، مِنْ مَاءٍ، فَمِنْ
الْحَيَوَانَاتِ الْمَخْلُوقَةِ مِنْ مَاءٍ مَنْ يَمْشِي زَحْفًا عَلَى بَطْنِهِ؛
كَالْحَيَّةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي قَائِمًا عَلَى رَجْلَيْنِ؛ كَالْإِنْسَانِ وَالطَّيْرِ،
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعِ قَوَائِمٍ؛ كَالْبَهَائِمِ، يُحَدِّثُ اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ
فِي كُلِّ وَقْتٍ مَا يَشَاءُ مِنَ الْمَخْلُوقاتِ الْمُنْتَوِّعَةِ، وَيَجْعَلُهَا عَلَى مَا
يَشَاءُ مِنَ الصِّفَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَادِرٌ، فَهُوَ
سَبْحَانَهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتِ الْقُرْآنِ عِلَامَاتٍ وَاضِحَاتٍ مُوَضِّحَاتٍ لِلْحَقِّ
وَلِمَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَى بَيَانِهِ مِنْ مَعَارِفٍ وَعُلُومٍ، وَآدَابٍ وَأَحْكَامٍ،
وَاللَّهُ يُرْشِدُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مِمَّنْ هُوَ أَهْلٌ لِلْهُدَايَةِ، إِلَى
طَرِيقِ الْإِسْلَامِ الْمُسْتَقِيمِ الْوَاضِحِ، الْمُوَصِّلِ إِلَى رِضَاهِ وَجَنَّتِهِ.
وَيَقُولُ الْمُنَافِقُونَ بِالسِّنْتِهِمْ كَذِبًا: آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ،
وَأَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا رَسُولَهُ، ثُمَّ يُعْرِضُ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَنْ
طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ بَعْدِ قَوْلِهِمْ: آمَنَّا وَأَطَعْنَا! وَلَيْسَ أَوْلَئِكَ
بِالْمُؤْمِنِينَ الْمَخْلُصِينَ الثَّابِتِينَ.

وَإِذَا دُعِيَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ؛ لِيَحْكُمَ
بَيْنَهُمُ الرَّسُولُ بِحُكْمِ اللَّهِ فِيمَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، إِذَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ
يُعْرِضُونَ عَنِ التَّحَاكُمِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ!

وإن يكن الحق للمنافقين على من يُخاصِمونه، يَقْبَلُوا التَّحَاكُمَ إلى الله ورسوله، ويأتوا إلى الرسول طائعين مُنْقَادِينَ لِحُكْمِهِ؛ لِمُوافَقَتِهِ لَأَهْوَائِهِمْ!

أفي قلوب هؤلاء المُنافِقِينَ -المُعْرِضِينَ عن التَّحَاكُمِ إلى الله ورسوله- مَرَضٌ مُلَازِمٌ لَهُمْ، أخرج القلبَ عن صِحَّتِهِ، فصاروا كالمريض الذي يُعْرِضُ عَمَّا يَنْفَعُهُ، وَيُقِيلُ على ما يضرُّه؟! أم حَدَثَ لَهُمْ شَكٌّ واضطرابٌ وتردُّدٌ وقلقٌ؟ أم يخافون أن يَجُورَ الله ورسوله عليهم في الحُكْمِ؟! بل هؤلاء هُمُ الظَّالِمُونَ لأنفسِهِمْ بَعْدَ الرِّضَا والتَّسْلِيمِ بِحُكْمِ الشَّرْعِ.

إنما يَنْبَغِي على المؤمنين الصَّادِقِينَ الْمُخْلِصِينَ إذا طُلِبَ منهم عند اختلافهم التَّحَاكُمَ إلى الله ورسوله- أن يقولوا برغبة ومُبادَرةٍ، وإقبالٍ دون مَطْلٍ وتَسْوِيفٍ وتردُّدٍ: سَمِعْنَا الدَّعْوَةَ، وَأَجَبْنَا إلى كتابِ الله وسُنَّةِ رسوله، وَرَضِينَا بِحُكْمِهِمَا لَنَا أوَ عَلَيْنَا، وَأولئك هم المُدْرِكُونَ لِمَا يَطْلُبُونَ، وفي الجَنَّةِ هم خَالِدُونَ.

وَمَنْ يُطِيعِ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيَخَفِ اللهَ العَظِيمَ خَوْفًا مُقْتَرِنًا بِعِلْمٍ وَتَعَظِيمٍ، وَيَتَّقِ سَخَطَهُ وَعَذَابَهُ، بامْتثالٍ أوَامِرِهِ، واجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ- فأولئك هم الظَّالِمُونَ بِكُلِّ خَيْرٍ، النَّاجُونَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وحَلَفَ بالله أولئك المُنافِقُونَ أَغْلَظَ أَيْمَانِهِمْ وَأَشَدَّهَا، مُبَالِغِينَ في تَأْكِيدِهَا: لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ -أيُّهَا النَّبِيُّ- بالخروج إلى الجِهَادِ لَيَخْرُجَنَّ مَعَكَ، قُلٌّ -يا أيُّهَا النَّبِيُّ- لأولئك المُنافِقِينَ: لا تَحْلِفُوا؛ فَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ طَاعَتَكُمْ مَجَرَّدُ قَوْلٍ بلا فِعْلٍ، ومَعْرُوفٌ عَنْكُمْ الكَذِبُ دونَ الإِخْلَاصِ، وَقَدْ عَرَفْتُ كَذِبَكُمْ في دَعْوَاكُمْ طَاعَتِي

إِنْ أَمَرْتُكُمْ بِالْخُرُوجِ لِلْجِهَادِ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِجَمِيعِ مَا تَعْمَلُونَ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ، وَيَعْلَمُ مَا فِي بَوَاطِنِكُمْ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ بِكُلِّ ذَلِكَ.

قُلْ -أَيُّهَا النَّبِيُّ- لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ: أَطِيعُوا اللَّهَ بِاتِّبَاعِ كِتَابِهِ، وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ طَاعَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ، فَإِنْ تَعَرَّضُوا عَمَّا جَاءَكُمْ بِهِ الرَّسُولُ، فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَسْئُولِيَّةُ تَبْلِيغِكُمُ الرِّسَالَةَ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَعَلَيْكُمْ مَسْئُولِيَّةُ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ شَرِيعَتِهِ، وَإِنْ تُطِيعُوا الرَّسُولَ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ تَرشُدُوا إِلَى الْخَيْرِ، وَتُصِيبُوا الْحَقَّ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ، وَلَا يَجِبُ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا التَّبْلِيغُ الظَّاهِرُ الْوَاضِحُ فِي نَفْسِهِ، الْمَوْضُحُ لَكُمْ رِسَالَةَ اللَّهِ، بِحَيْثُ لَا يَبْقَى لَدَى أَحَدٍ شَكٌّ وَلَا شُبْهَةٌ، وَقَدْ أَدَّى ذَلِكَ. وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَعَدَا جَازِمًا مُوَكَّدًا أَنَّهُ سَيُورِثُهُمُ الْأَرْضَ، فَيَجْعَلُهُمْ خُلَفَاءَ فِيهَا، مُسْتَطَرِينَ عَلَيْهَا، مُتَصَرِّفِينَ فِي أُمُورِهَا، وَالْقِيَامَ بِتَدْبِيرِهَا، كَمَا مَلَكَ اللَّهُ الْأَرْضَ لِأَخْرِيِّينَ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلِيُثَبِّتَنَّ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ دِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي اخْتَارَهُ لَهُمْ، فَيُظْهِرُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَدْيَانِ، وَيَنْتَشِرُ وَيَتِمَكَّنُ أَتْبَاعُهُ مِنْ إِقَامَةِ شَرَائِعِهِ، وَلِيُغَيِّرَنَّ اللَّهُ حَالَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْخَوْفِ مِنْ أَعْدَائِهِمْ إِلَى الْأَمْنِ التَّامِّ، يَعْبُدُونَنِي بِإِخْلَاصٍ آمِنِينَ، لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا فِي عِبَادَتِي، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ نِعْمَةِ الْإِسْتِخْلَافِ وَالْأَمْنِ وَتَمَكِينِ الدِّينِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ.

وَأَقِيمُوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- الصَّلَاةَ بِحُدُودِهَا، وَآتُوا الزَّكَاةَ مُسْتَحَقِّهَا، وَأَطِيعُوا رَسُولَ رَبِّكُمْ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ وَيَنْهَاكُمْ عَنْهُ؛ لِنَنَالُوا رَحْمَةَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

لَا تَطْنَنَّ الْكَافِرِينَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - فَاتَّيْنِ فِي الْأَرْضِ فَلَا يُدْرِكُونَ، وَمِنَ الْهَلَكَ يُفْلِتُونَ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ هَلَاكَهُمْ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ مَأْخُذُونَ لَا مُحَالَةَ، وَمَسْكَنُهُمْ فِي الْآخِرَةِ النَّارُ، وَلِبْسُ الْمَالِ الَّذِي يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ النَّارُ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، مُرُوا مَمَالِكَكُمْ مِنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ، وَالْكِبَارِ وَالصِّغَارِ، وَمُرُوا صِبْيَانَكُمْ الْأَحْرَارَ غَيْرَ الْبَالِغِينَ أَنْ يَسْتَأْذِنُوا إِذَا أَرَادُوا الدُّخُولَ عَلَيْكُمْ فِي ثَلَاثَةِ أَوْقَاتٍ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ: قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَوَقْتُ الْقِيلُولَةِ نِصْفَ النَّهَارِ، وَبَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ، هَذِهِ ثَلَاثَةُ أَوْقَاتٍ يَحْصُلُ فِيهَا ظُهُورُ لِلْعَوْرَاتِ؛ فَلَا يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مَمَالِكُكُمْ وَأَطْفَالُكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَى مَمَالِكِكُمْ وَأَطْفَالِكُمْ إِثْمٌ فِي تَرْكِ الْاسْتِئْذَانِ لِلدُّخُولِ عَلَيْكُمْ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الثَّلَاثَةِ، بَعْضُكُمْ يَطُوفُ عَلَى بَعْضٍ؛ فَمَمَالِكُكُمْ وَأَطْفَالُكُمْ يَدْخُلُونَ وَيَخْرُجُونَ عَلَيْكُمْ فِي مَنَازِلِكُمْ لِقَضَاءِ أَشْغَالِكُمْ وَحَوَائِجِكُمْ، وَأَنْتُمْ تَتَرَدَّدُونَ عَلَيْهِمْ لَا اسْتِئْذَانَ بَيْنَهُمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ، كَمَا بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَحْكَامَ الْاسْتِئْذَانِ بَيَانًا تَامًّا وَاضِحًا، كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ جَمِيعَ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ، حَكِيمٌ فِيمَا يُدَبِّرُهُ لَهُمْ، وَفِيمَا يَشْرَعُهُ لَهُمْ مِنَ الْأَحْكَامِ؛ فَهُوَ يَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ اللَّائِقِ بِهِ.

وَإِذَا صَارَ أَطْفَالُكُمْ بِالْغَيْرِ، فَلْيَسْتَأْذِنُوا فِي الدُّخُولِ عَلَيْكُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ، كَمَا اسْتَأْذَنَ الْكِبَارُ الْأَحْرَارُ، كَمَا بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - حُكْمَ الْأَطْفَالِ فِي الْاسْتِئْذَانِ إِذَا بَلَغُوا الْحُلُمَ، كَذَلِكَ يَوْضِحُ اللَّهُ وَيَفْصِلُ لَكُمْ جَمِيعَ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَأَحْكَامِ

الإسلام، والله عليهم بما يُصلح عبادَه، حكيمٌ في تدبيرهم بما شرَّعه لهم من الأحكام.

والنِّسَاءُ العَجائِزُ اللَّاتِي لَا يَحْضُنَ وَلَا يَلْدُنَ، وَلَا يَطْمَعْنَ فِي الزَّوْاجِ لِكِبَرِ سِنِهِنَّ، لَا إِثْمَ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَتْرُكْنَ لِبَسِ الثِّيَابِ الظَّاهِرَةِ، كَالْجِلْبَابِ، حَالَ كَوْنِهِنَّ غَيْرَ مُظْهِرَاتٍ لِلزَّيْنَةِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ إِخْفَاؤُهَا، وَتَرْكُ وَضْعِهِنَّ لثِيَابِهِنَّ -وإن كان جائِزًا- خَيْرٌ وَأَفْضَلُ لَهُنَّ مِنْ خَلْعِهَا، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لْجَمِيعِ الْأَصْوَاتِ، عَلَيْهِمْ بِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ وَالْمَقَاصِدِ وَالنِّيَّاتِ؛ فَلْيَحْذَرْنَ مِنْ كُلِّ قَوْلٍ وَفِعْلٍ وَقَصْدٍ فَاسِدٍ، وَلْيَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ يَجَازِي عَلَى ذَلِكَ.

ليس على الأعمى ولا على الأعرج ولا على المريض، وليس عليكم -أيُّها المسلمون- إثمٌ في الأكلِ من بُيُوتِكُمْ وَبُيُوتِ أَوْلَادِكُمْ وَعَبِيدِكُمْ، أَوْ فِي تَنَاوُلِكُمُ الطَّعَامِ بِمُفْرَدِكُمْ دُونَ بَقِيَّةِ أَهْلِ بَيْتِكُمْ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ -أيُّها المسلمون- إثمٌ في أكلِكُمْ مِنْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ، أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ، أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ، أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ إِثْمٌ فِي أكلِكُمْ مِنَ الْبُيُوتِ الَّتِي مَفَاتِيحُهَا بِأَيْدِيكُمْ، فَوُكِّلْتُمْ بِحِفْظِهَا، وَأُذِنَ لَكُمْ بِالتَّصَرُّفِ فِيهَا، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ إِثْمٌ فِي أكلِكُمْ مِنْ بُيُوتِ أَصْدِقَائِكُمْ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ إِثْمٌ فِي الْأَكْلِ فِي تِلْكَ الْبُيُوتِ الْمَذْكُورَةِ سِوَاءَ كُنْتُمْ مُجْتَمِعِينَ عَلَى الطَّعَامِ أَمْ مَتَفَرِّقِينَ يَأْكُلُ كُلُّ مِنْكُمْ بِمُفْرَدِهِ، فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتَكُمْ أَوْ بُيُوتَ غَيْرِكُمْ، فَلْيَحْيَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالسَّلَامِ تَحِيَّةَ شَرَعِهَا اللَّهُ لَكُمْ كَثِيرَةً الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ، عَظِيمَةُ الثَّوَابِ وَالْحَسَنَاتِ، جَمِيلَةٌ فِي أَلْفَاطِهَا، حَسَنَةٌ فِي مَعَانِيهَا، تَجْلِبُ الْمَحَبَّةَ، وَتَطْيِبُ بِهَا نَفْسُ

سامعِها، كما بيّن الله لكم الأحكام بهذا الوُضوح والنّمام، كذلك
يبين لكم جميع آيات القرآن وشرائع الإسلام، بياناً تامّاً واضحاً
شافياً؛ لئلفهموها وتتدبّروها، وتعملوها بها.

إنّما المؤمنون حقّ الإيمان، الكاملون في إيمانهم: هم الذين
آمنوا بالله ورسوله ظاهراً وباطناً، إيماناً يتضمّن القبول
والإذعان، وإذا كانوا مع الرسول صلى الله عليه وسلّم على أمرٍ
مُهمٍّ يجمعهم؛ كالجهاد، أو التشاور في أمرٍ ما- لم يفارقوا
الرسولَ وينصرفوا لحاجّتهم حتى يطلبوا منه الإذن، إنّ الذين
يطلبون منك -أيّها النبيّ- أن تأذن لهم بالانصرافِ لِغُدرٍ: أولئك
الذين يؤمنون بالله ورسوله حقّاً، وليسوا بمُنافقين، فإذا طلب
المؤمنون منك أن تأذن لهم بالانصرافِ لحاجّتهم إلى قضاء
بعض أمورهم؛ فأذن لمن تشاء منهم، وامنع من تشاء إن كانت
المصلحة تقضي بعدم ذهابه، وادع الله أن يغفر لهؤلاء
المُستأذنين، إنّ الله كثيرُ المغفرة والرحمة.

لا تعتقدوا -أيّها المؤمنون- أنّ دعوة الرسول لكم للاجتماع
غير واجبة، كما يدعو بعضكم بعضاً؛ ولا تناوؤوا الرسول بقلّة
احترامٍ وتوقيرٍ، كمناداته باسمه مُجرّداً، أو برفع الصوت مثلاً
يُنادي بعضكم بعضاً؛ فاجابة الرسول لازمة، والتأدّب معه
واجب، إنّ الله يعلمُ المنافقين الذين ينصرفون خفيةً عن اجتماع
المُسلمين، فيخرجون بلا استئذان، مُستترين؛ مخافة أن يراهم
أحدٌ، وسيُجازيهم الله على ذلك، فليحذر الذين يُعرضون عن أمر
الرسول أن يُصيبهم فتنة في الدنيا، أو يُصيبهم عذابٌ مُوجعٌ؛
لمُخالفتهم أمرَ الرسول.

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مُلْكَ جَمِيعِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَكُلُّهُمْ خَلْفُهُ وَعَبِيدُهُ وَتَحْتَ تَدْبِيرِهِ؛ فَلَا تَنْبَغِي لَكُمْ مَعْصِيَتُهُ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي سِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ؛ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ، وَيَعْلَمُ يَوْمَ يُرْجَعُ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ فَيُخْبِرُهُمْ بِجَمِيعِ مَا عَمَلُوهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ وَالْأَحْوَالِ وَالنِّيَّاتِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ. تَعَاطَمَ اللَّهُ، وَكَمَلَتْ أَوْصَافُهُ، وَكَثُرَتْ خَيْرَاتُهُ، وَدَامَتْ وَثَبَتَتْ بَرَكَاتُهُ، فَهُوَ الَّذِي نَزَلَ الْقُرْآنَ الْمَفْرَقَ بَيَانِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، آيَاتٍ بَعْدَ آيَاتٍ، وَسُورَةٌ بَعْدَ سُورَةٍ عَلَى عِبْدِهِ مُحَمَّدٍ، لِيَكُونَ مُحَمَّدٌ مُنْذِرًا لَجَمِيعِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، يَحَذِّرُهُمْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ لَمْ يُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ.

وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَهُ وَحْدَهُ سُلْطَانُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَصْرِفُ شُرُوءَهُمَا وَيَدِيرُهُمَا وَجَمِيعَ مَا فِيهِمَا، وَلَمْ يَتَّخِذْ لِنَفْسِهِ وَلَدًا؛ لَا عِيسَى، وَلَا عَزِيرًا، وَلَا الْمَلَائِكَةَ، وَلَا غَيْرَهُمْ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لِلَّهِ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ كَمَا يَزْعُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَوْجَدَ اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَأَتَقَنَّهُ وَهَيَّأَهُ لِمَا يَصْلُحُ لَهُ، وَجَعَلَهُ مُحْكَمًا، لَا تَفَاوُتَ فِيهِ وَلَا خَلَلٌ، عَلَى مَا أَرَادَ سُبْحَانَهُ بِحِكْمَتِهِ.

وَاتَّخَذَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَعْبُودَاتٍ مِنَ الْأَصْنَامِ وَغَيْرِهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْلُقَ شَيْئًا، وَهَذِهِ الْأَلِهَةُ مَخْلُوقَةٌ، بَلْ مِنْهَا مَا هُوَ مَصْنُوعٌ وَمَنْحُوتٌ بِأَيْدِي الْمُشْرِكِينَ! وَلَا تَسْتَطِيعُ الْمَعْبُودَاتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ تَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهَا ضَرًّا، وَلَا أَنْ تَجْلِبَ لِنَفْسِهَا نَفْعًا، وَلَا تَسْتَطِيعَ إِمَاتَةَ حَيٍّ، وَلَا إِحْيَاءَ مَيِّتٍ، وَلَا بَعْثَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ.

وقال الكافرون: ما هذا القرآنُ إلا كَذِبٌ اختلقه محمدٌ، وليس هو من عند الله، وأعان محمدًا على اختلاقه أناسٌ ذوو فُدرَةٍ وكفايةٍ من غير قومه! فقد أتى الكُفَّارُ بظُلْمٍ وكَذِبٍ ومِيلٍ عن الحَقِّ، حينَ وصفوا القرآنَ بغير صِفَتِهِ، ورمَوْا النَّبِيَّ بالكَذِبِ على الله.

وقال الكُفَّارُ: هذا القرآنُ عبارةٌ عن أكاذيبِ الأممِ الأولينَ وقصصهم المسطَّرةِ في كُتُبِهِم، استنسخها منهم محمدٌ، فهذه الأساطيرُ التي اكتبها محمدٌ تُقرأ عليه في أوَّلِ النَّهارِ وآخره؛ ليحفظَها.

قُلْ -يا محمدُ- لهؤلاءِ الكُفَّارِ: الَّذي أنزلَ القرآنَ المشتمِلَ على الأسرارِ -كالإخبارِ بالأُمورِ الماضيةِ والمستقبلَةِ- هو الله الَّذي يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، وسِرِّ مَنْ فِيهِمَا، ولا يخفى عليه شيءٌ، إِنَّ اللهَ لم يَزَلْ يَسْتُرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ، ويتجاوزُ عن مواخِذِهِم بها ويرحمُهم، ومن رحمتهِ بهم أَنَّهُ لم يُعاجِلْهم بالعقوبةِ، وَأَنَّهُ يَقْبَلُ منهم التَّوْبَةَ.

وقال كُفَّارُ قُرَيْشٍ: ما لمحمدٌ -الَّذي يزعمُ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ الله- يأكلُ الطَّعامَ كما نأكلُ، ويمشي في الأسواقِ للتَّكسُّبِ والتَّجَارَةِ كما نمشي؟! هَلَّا أنزلَ اللهُ إلى محمدٍ مَلَكًا مِنَ الملائكةِ، يَشْهَدُ له بالصدِّقِ، ويُعيِّنه على إنذارِ النَّاسِ وتبليغِ رسالتهِ، إن كان صادقًا في دَعَوَاهُ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللهِ!

أَوْ يُلْقَى إلى محمدٍ كَنْزٌ مِنَ المَالِ يُنفِقُ منه فيُغْنِيه عن طَلَبِ المعاشِ، أَوْ يَكُونُ لمحمدٍ بُسْتَانٌ يأكلُ من ثماره، فيستغني بذلك عن طَلَبِ الرِّزْقِ، وقال المُشْرِكُونَ: ما تتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مِنَ

الْبَشَرُ بِهِ سِحْرٌ، وَلَيْسَ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كَمَا يَزْعُمُ، فَهُوَ رَجُلٌ
مَخْدُوعٌ مَغْلُوبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَمَخْتَلٌ الْعَقْلُ بِالسِّحْرِ.

انْظُرْ - يَا مُحَمَّدٌ - إِلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ كَيْفَ يَجْعَلُونَ لَكَ هَذِهِ
الْأَوْصَافَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ هَذِهِ الْأَقْوَالُ الْبَاطِلَةُ الْمُتَنَاقِضَةُ،
فَاخْطُؤُوا بِذَلِكَ الْحَقَّ وَالصَّوَابَ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ إِلَيْهِ طَرِيقًا!
تَعَاظَمَ اللَّهُ وَكَمَلَتْ أَوْصَافُهُ وَكَثُرَتْ خَيْرَاتُهُ وَدَامَتْ بَرَكَاتُهُ؛
فَهُوَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ - يَا مُحَمَّدٌ - خَيْرًا مِمَّا اقْتَرَحَ
الْمُشْرِكُونَ؛ بِسَاتِينَ عَدِيدَةً فِي الدُّنْيَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا
الْأَنْهَارُ، وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ جَعَلَ لَكَ بَيْوتًا مُشِيدَةً عَظِيمَةً وَاسِعَةً فِي
الدُّنْيَا.

لَا تَظُنْ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِمَا جَنَّبَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ - يَا مُحَمَّدٌ - لِأَنَّهُمْ
يَعْتَقِدُونَ فِيكَ كَذِبًا وَافْتِرَاءً لِلْقُرْآنِ، أَوْ نُقْصَانًا؛ لِأَنَّكَ الطَّعَامُ
وَمَشِيكَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَإِنَّمَا سَبَبُ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ وَاقْتِرَاجِهِمْ مَا
اقْتَرَحُوهُ هُوَ عَدَمُ إِيْمَانِهِمْ بِالْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَيَأْنَا وَأَرْصَدْنَا
لِمَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ نَارًا مُوقَدَةً شَدِيدَةَ الْحَرَارَةِ، نَعَذِّبُهُمْ فِيهَا فِي
الْآخِرَةِ.

إِذَا رَأَتْ تِلْكَ النَّارُ أَهْلَهَا الْكُفَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ،
سَمِعُوا صَوْتَ غَلِيَانِهَا وَتَلْهُبِهَا؛ مِنْ شِدَّةِ غَيْظِهَا مِنْهُمْ، وَسَمِعُوا
لَهَا صَوْتَ زَفِيرٍ؛ مِنْ غَضَبِهَا وَخَنَقِهَا عَلَيْهِمْ.

وَإِذَا طُرِحَ الْكُفَّارُ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ فِي النَّارِ، وَقَدْ قُرْنُوا فِي
الْأَغْلَالِ وَالسَّلَاسِلِ - رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِطَلَبِ الْهَلَاكِ؛ نَدْمًا عَلَى
تَرْكِهِمُ الْإِيْمَانَ، وَطَاعَةِ الرَّحْمَنِ، وَتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ لِيَسْتَرِيحُوا مِنَ
الْعَذَابِ.

يقول خَزَنَةُ النَّارِ لِلْكَفَّارِ: لَا تَطْلُبُوا هَلَاكًا وَاحِدًا فِي النَّارِ، بَلِ اطْلُبُوا كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ، فَعَذَابُكُمْ مُسْتَمِرٌّ وَمُتَجَدِّدٌ، وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الدُّعَاءُ أَبَدًا.

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِلْكَفَّارِ: أَذَلِكَ الْعَذَابُ الْمُسْتَمِرُّ فِي النَّارِ خَيْرٌ، أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الدَّائِمِ نَعِيمُهَا، الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ بِهَا الَّذِينَ يَتَّقُونَ سَخَطَهُ وَعَذَابَهُ؛ بَامْتِثَالِ مَا يَأْمُرُهُمْ، وَاجْتِنَابِ مَا يَنْهَاهُمْ؟! كَانَتْ الْجَنَّةُ ثَوَابًا لِلْمُتَّقِينَ عَلَى تَقْوَاهُمْ وَأَعْمَالِهِمِ الصَّالِحَةِ، وَمَرَجَعًا يَصِيرُونَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ.

لِلْمُتَّقِينَ فِي الْجَنَّةِ مَا يَشَاوُونَ مِمَّا تَشْتَهِيهِ أَنْفُسُهُمْ، لَا بَشِينَ فِيهَا أَبَدًا بِلَا زَوَالٍ عَنْهَا، وَلَا انْقِطَاعٍ لِنَعِيمِهَا، كَانَ دُخُولُ الْمُتَّقِينَ الْجَنَّةَ وَعَدَا وَاجِبًا لَا بَدَّ أَنْ يَقَعَ فِي الْآخِرَةِ؛ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِمْ رَبَّهُمْ، وَسَوْأُ لَهُمْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا.

وَادْكُرْ -أَيُّهَا الرَّسُولُ- يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَحْشُرُ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ وَمَعْبُودَاتِهِمِ الَّتِي عَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَعْبُودَاتِ الْمُشْرِكِينَ: أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى، وَدَعَوْتُمُوهُمْ إِلَى عِبَادَتِكُمْ مِنْ دُونِي حَتَّى فَعَلُوا ذَلِكَ، أَمْ هُمْ الَّذِينَ ضَلُّوا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ غَيْرِ دَعْوَةٍ وَتَضَلُّيلٍ مِنْكُمْ؟

قَالَ الْمَعْبُودُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ: نَنْزِرُكَ -يَا اللَّهُ- عَنْ مُشَارَكَتِكَ فِي الْأُلُوهِيَّةِ، فَمَا يَلِيقُ وَلَا يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَعْبُدَ غَيْرَكَ، وَنُوَالِيَ سِوَاكَ، وَلَا أَنْ نَطْلُبَ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَكُونُوا عَابِدِينَ لَنَا؛ فَحَنَّا مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ مَنَعْتَ -يَا رَبَّنَا- هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَأَبَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالنِّعَمِ، فَانْشَغَلُوا بِالشَّهَوَاتِ حَتَّى تَزْكُوا وَحْيِكَ

المنزل، وفيه الأمر بتوحيدك وعبادتك وحذك، وكان المشركون قومًا هلكي، قد غلب عليهم الخذلان والشقاء. فقد كذبكم -أيها المشركون- من عبدتموهم من دون الله، وأنكروا قولكم أنهم أمروكم بعبادتهم، وأنهم شفعاء لكم عند ربكم، وكذبوكم في زعمكم أنهم آلهة! فما تستطيعون -أيها المشركون- صرف عذاب الله عنكم بفداء أو غيره، ولا تستطيعون نصر أنفسكم؛ لعجزكم، ومن يظلم نفسه منكم بالشرك، نُعَذِّبْهُ فِي النَّارِ عَذَابًا كَبِيرًا.

وما أرسلنا قبلك -يا محمد- أحدًا من المرسلين إلا والحال أنهم بشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق؛ فليس للمشركين حجة في تكذيبك؛ لكونك تفعل ذلك، وامتحنًا -أيها الناس- بعضكم ببعض؛ ليظهر ما نعلمه منكم في عالم الغيب من الطاعة والمعصية في عالم الشهادة، فهل تصبرون على البلاء أو لا تصبرون؟ وكان ربك -يا محمد- بصيرًا، يعلم أحوالكم وأعمالكم، وسيجازي كلًا بعمله، ويعلم من يصلح لرسالته فيصطفيه، ويختصه بتفضيله.

ar10118v1.0 - 06/09/2026